لتسعد الحياة

(نُبذة عن سير الشهداء التركمان)

زهراء التازلية

2020

تحذير!

إن كُنت ممن يخافون على مشاعرهم، ولم تذق مرارة

الحُزن من قبل، فلا تقرأ هذا الكتاب لأنني لن أكون

مسؤولةً عن مزاجك حين قراءتك لهُ ...!

الإهداء

- إلى الغائبين الذين استقروا في مُقل العيون
- إلى وطني وأهلهِ وأحياءهِ الفقيرة
- إلى العيون والقلوب التي أحتلتها الأحزان

المُقدمة، بل رسالة!

بسم الله الرحمن الرحيم

{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}

صدق الله العلي العظيم

سلام عليكم ورحمة الله وبركاتهِ، أما بعد :

نُدرك أن وطننا بكل دمعةٍ منه يسقط أحد أبناءهِ شهيداً، يصرخ مستغيثً بالأخشاب أن تتحول بسرعةٍ إلى تابوتٍ. فمنذ نعومة اظفارنا تعلمنا أن طريقة العيش على أرض هذا الوطن هو "الروح".!

وطني قضيةٌ معقدة قد دفعنا الكثير لفوزها في محكمة الحياة لكنما، أي قضية؟! فالقاضي قد باع ضميره والمحامي باع الدلائل والمتهم حرٌ طليق والمشتكي إما يُعدم وإما يُعدم.!

أنه ثورةٌ يقودها حرائر البيوت المخدرات، وطني حين تمر من ازقته تسمع أصوات النياح والآهات.

هذا الطفل الواقف قد فقد أباه رسم رسمةً على الباب يحضنه كلما باغته ذكرى والده، وتلك المرأة قد نصبت خيمتها عند أحد القبور في المقبرة الموحشة، وهذا شيخ العجوز كانت آماله الحج بعد تقاعده لكنه يعمل ليُعيل عائلتهِ بعدما أستشهد وحيده.

وأما الشهيد فتودعه أمهُ قائلةً: " يا ولدي هل كرهت الحياة حتى كويتني بفراقك؟ طيفك على الجفون نائمٌ والدمع يغسله مع كل أنة حنينْ، قد اضعفتني فراقك, فمتى اللقاء؟"

استشهد هو وارتاح في ثراه تخلى عن أحلام صباه **لتسعد الحياة** بظُلمه وإبعادهِ عن مُناه لتُرقص رقصة برودواي جاز على جروحهِ وقد تلونت نقشات ثيابها بدمائهِ، وتفتح بمقصها الطبي قلوب أهلهِ وتتركها دون تخيطها، لكنما عبثاً تسعد فهو قد فضل الموت على أن يكون فرداً في عصابة كذبها ورياءها، فقلبهُ كزهرة الهيدرانجيا مخلصٌ لا يرتضي الخداع.!

نعم هؤلاء أبناء بلدي قد عاهدوه واستشهدوا في سبيله وما بدلوا تبديلاً. أريد أن أكتب عنهم وما خلفوه من أسى في نفوس من حولهم.

أحملُ في هذا الكتاب ميثاقُ عهدٍ مُوقع بالدُموع. فيه تحيةٌ حزينة لكل شهيد بصوت بكاء رضيعٍ في المهد ينتظره..!

قد رويتم جحيم أيامنا بدمائكم سنروي تأريخكم المجيد بأقلامنا سنتخذ من دموع أطفالكم حبراً ومن شحوب وجوه أباءكم دفتراً سنصفكم كما تصفكم أُمهاتكم، سنصنع دولةً تقودها أطفالكم، ونزرع مبادئً للأجيال تليق بمبادئكم .

لن تبقى دمائكم على قارعة الطريق سنصنعُ منها حبلاً ونتسلقُ بها على رؤوس الطغاة ونرسم منها حدود الحرية لنُعيد من جديد ذكرى الاستقلال.

سنستقل قطار التطور في العراق لكي لا يكون فيه مكان للقتل.

سنجعل من العراق دولةً يُتغنى بجماله بعد أحزانه هذه وعودنا لكم سنحققها يا زهور أرض الدماء.

الوطنية هي أن....
تتمسك بوطنك حتى وإن تخلى عنك الجميع،
باعك أهلهُ بثمن رغيف خُبزٍ يابس،
مُكتسياً وحدتك في عراء الوطن،
في نُجى غُربتك عن من أحبوك،
خالي الوثاق من الأمان،
فتنسلخ بنفسك نحو هاوية النسيان في أحد أروقة كتاب
..أ .

من أوائل متطوعي التركمان

السيد / جعفر الموسوي

29 حزيران 2014

كركوك / قصبة بشير

كان شخصاً مثل قنديلٍ في الزاوية المُقابلة لنافذة القلعة الضخمة يتوهجُ بهدوء، يُحارب الريح القادمة من النافذة، الا أنه حين كان يحس بخطرٍ تُهدد قلعتهِ يغضب فتُصبح نارهُ الصغيرة بحجم الشمس تُحرق كُل من يحاول المساس بأمان قلعتهِ التي نذر نفسهُ حارساً لها فهي حبهُ الأول..!

حين سكنت صوت الحقيقة، ظن الباطل نفسه مَلكٍ فراح يعيثُ الفساد، ولم يعلم أن في صمت الحقيقة إعصارٌ قادم لا مُحالة، إختلطت أوراق الحياة والناس مُتخبطين ببعضهم في أمر مريج، علهم لا يدركون، أين يتستر الحق الحزين؟

في جنون الحقيقة، واكتساح السماء بالسُحب السوداء اجتاحت ديارهِ تلك السُحب الملعونة، لتُمطر عليهم بوابل أخطارها.

ناحية تازة بقريتها الصغيرة (بشير) ذات القلعة التي أصبحت مقبرةً، تبكي تأريخها المليءُ بالدُموع، تازة أغنية فيروز الحزينة، وزهرة حزنٍ تُزهر كلما سُقيتَ أرضهُ بالدماء الجديدة، تراها أحياناً وردةً جورية مُنفتحة، تعبقُ بأريج زهرة ملكة الليل المُختلطة برائحة البارود تُشغل حواس جسدك كمن يجوب ليلاً تحت المطر في الشوارع بحثاً عن حبيبته التي ضيعها منذ اللقاء الأول.

ذات صباحٍ حار من صباحات حزيران درجات الحرارة تتجاوز الأربعين، الشمس تشعُ في السماء كحبة ليمونٍ صفراء، والنسمات الحارة تأتي من حيث شاء الله، والسُحب البيضاء القليلة كالقوارب البيضاء الصغيرة، تُغطي بحر السماء الزرقاء، الوقت بعد الظهر وقعت بشير في يد داعش فبدأت أخبار وقوعها تصلُ الى كل مكان حتى وصلت إلى مسامع أحد السادة.

وهذا سيد معروفٌ بورعهِ وتقواه لين الجانب حسن سيرة شجاعٌ بالقول والفعل، يحترمهُ الصغير قبل الكبير لا يذم ولا يشتم ولا يقول كلمةً يجرح فيها أحداً، فطنٌ يتغافل عن أخطاء الآخرين في حقهِ، شيمته الغيرة وسيماه الصلاة تتوسط جبينه من كثرة عبادته، له ما يُقارب أربعة أطفال قريبٌ من القلوب يفهم لغة العقول. أكمل حوزته وبعدها أصبح أحد وكلاء المرجع يُبدعُ في فن الخطابة فخُطبهُ بالغة المعاني واسعة الآفاق، عندما تسمع خُطبته تدعوا لو إنها

طالت أكثر وصوته حين يقرأ "نعياً" يُبكي الحجر يتلذذُ الناس بسماعه فهو حين يتكلم وكأنه يخاطب العقول فتُجيبهُ القلوب قبل أن يُكمل جملتهُ، يريح النُفوس من أحزانها ، وأكثر خطبهِ حول الإمام الحسين (عليه السلام) .

قال ذات مرةٍ مخاطباً بها الناس وهو يقرأ لطميةً في مُحرم:

_ نحن قد أخذنا العالم، فإننا كلما صحنا يا حُسين ارتفعت شأننا.

ولذلك يطلبُ الناس منهُ أن يخطُب فيهم فيذهبُ ويخطبُ في شتى أماكن، وفي ذلك اليوم كان يُلقي مُحاضرته بالناس في تركيا لكنهُ حينما علم بالخبر لم يستطع البقاء ورجع الى العراق لينضم الى صفوف المجاهدين لتبدأ مسيرتهُ الجهادية في الدفاع عن منطقتهِ، وبعد قدومه بدأت ثورة النار التي أوقدتها دماء الشهداء، تُنادي إلى المروءة، تدعو إلى دفاع، إلى شجاعة، والغيرة.

بدأ المُجاهدين بالتجهيزات للعمليات وسيد جعفر من بين أوائل المتحضرين للمُشاركة فيها، ينصح ويخطب ليرفع من معنويات المُقاتلين ويرفع من هممهم أكثر.

وقبل البدء في العمليات بليلة قام يودع الناس يودع العلماء كمن يعلمُ بساعة موتهِ وكأنه يُدرك أن ساعاتهُ في هذه الحياة الفانية قد أصبحت معدودة.!

واقترب موعد العمليات فخرج يخطبُ في ناس واصفاً للمُقاتلين:

(إنهم رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه قلوبهم كزبر الحديد لا يخافون من موتٍ، ولا يخافون من داعش ومن لف لفهم، نحن لهم والأيام ستثبت ذلك، ونُعلن للعالم أن هناك رجالٌ من أسسهم ، ومن بناهم ومن رباهم هو الحسين (عليه السلام)، لأننا غيرتنا عباسية، وعقيدتنا علوية، ونحن حسينيون، لا نخافُ الموت كما قال مولانا الحسين (عليه السلام):أ بالموت تخوفني؟ وإنا لا نخاف داعش وأمثالهم، فإن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب؟)

بهذه الكلمات بدأ خطبته وكأنه يُعلن مع المُجاهدين في شهر الرمضان أن الموعد قد حان. أسئلوا قلبه اتعظوا بكلماته، لا تخدعكم ابتسامتهُ الزائفة وتصرفكم عن حزنهِ، إنهُ من قومٍ تعلموا بـشاشة الوجه من الإمام علي (عليه السلام)، فإنهم يبتسمون رغماً عن آلامهم، قلوبهم تعتصر الجروح.

آهٍ نعم لقد اشتعلت مواقد منارات الثورة ولا أظنها تتوقف، في صباح الساعة الرابعة أو ما يقربها بـقليل، بدأت العمليات شارك فيها سيد يُشارك معهُ ما يُقارب خمسة وثلاثين بطلاً من

شباب قضاء طوز خورماتوا. مع باقي مناطق التركمانية لأجل تطهير قرية بشير وقلوبهم قد اصابتها الإرهاق من كثرة الصبر ملامحهم كملامح شيخ العجوز الذي تركوه أطفالهُ في دار العجزة..

من يُطفئ جمرة غيرتهم؟ ومن يُسكن آلامهم؟ من يسمعُ أنينهم؟

بدأوا الحرب، خططوا، وهاجموا، وقاتلوا، واحتدمت القتال بينهم، والأصوات عاليةٌ لا تهدأ ضجيجها، كأنها القيامة، وعنان السماء الباكية نيراناً كثيفة تُمزق أحشاء من تُصيبه برصاص قدرهِ، كل المُعطيات تؤشر إلى خسارة أحد الأطراف للمعركة، لأن حركة الطرف الثاني أسرع والفارق العددي أكبر والأسلحة أكثر، فأي الأطراف هو يا تُرى؟، كانت الثواني عمراً بكامله وأشعة الشمس كأنها تأبى أن تكون عمودية .!

بدأت الأصوات تقل، والافق قد غطتها دخانٌ كثيف إلى أن سكن الضجيج تماماً، أي أن المعركة انتهت، ما النتيجة؟

وقعوا في الكمين أحاطت بيهم الألغام والقناصين فوق رؤوسهم يختالونهم من أماكن مختلفة، نعم كانوا هم الطرف الخاسر ربما في المعركة، الا إن الحقيقة عكس ذلك لأنهم كما قال السيد: رجالٌ رباهم الحسين فبشهادتهم فتحت أبواب الثورات المتتالية والضربات القاتلة لداعش...

أبن السادة المكرمين، أبن الكريمة، ذو النسب العربي، انقطعت أخباره عن عائلته لمدةٍ يُقارب أسبوعاً كاملاً.. لا يستطيعون إخبار أُمه التي تتلهفُ عليه عنه شيئاً، لأنه ليس الجرح الأول لقلبها فهي قد ذاقت مرارة الفراق في الماضي، فقد استشهد أحدُ أبناءها في حرب كويت الذي لا قبر له حتى تزوره وتستأنس بمزارهِ، وإذا سمعت عن سيد جعفر ستتبركن جبال صبرها، وماذا لو تحفظوا عن إخبارها! فهل تُجدي ذلك نفعاً مع أمٍ أحست بجوع ولدها قبل أن يبكي في عز نومها؟! لا والله فقلب الأُم يُخبرها بما يقع على أولادها من سوءٍ قبل وقوعه.!

استشهد السيد على يد من لا يهابون الله ذرةً حيث تركوا جسدهُ الطاهر المليءُ بجراحهِ على الأحجار الساخنة من حرارة الشمس، قد برد جسدهُ ومال لونهُ الى الأزرق، نزف حتى غطى دمائهِ الأرض حوله فجملها كما تُغطي ورود الجوري البساتين، حملوا بدنهِ وقاموا بتمثيل به وصنعوا ما صنعوا من أسوء الأفعال لإيذاء رفاتهِ قدر ما يستطيعون وبعضُ من معهُ من الرجال الذين أستشهدوا فتركوهم دون غُسلٍ لا يوجد من مُحبيهِ أحداً فوق رأسهِ ليمنعهم عن إيذاءه أكثر، أن يبكي عليه ويسمع وصيتهُ الأخيرة ، نائمٌ على الأرض مع أصدقائهِ الشُهداء في

العراء قد أصبحت دمائهم معاطفهم ملفوفين بها كما يلف الجندي نفسه بمعطفهِ الجلدي أثناء أداء واجبه في المطر ...!

هذا السيد الجليل ذو الهيبة و الوقار، بنظرة عيونه السوداء التي تُشبه نظرات الأسد، عيناهُ التي كانت نجوة فرح لمكتئبٍ حزين، بقي دون كفنٍ ولا قبر **سيد جعفر الموسوي**.

سيدنا لقد كان الانتصار واللقاء هي الخيار، لم يكن الفراق في الحسبان، فكيف قرع بابنا؟ متى ترجع ماء الحياة إلى بُحيرة روحنا التي أصابتها الجفاف؟ هل انتهى كل شيءٍ هنا؟ هل خمدت الثورة؟!

أصبحت الدور دار الخراب، عشعشت فيها الطيور، ونسجت في جدران بيوتها العنكبوت. أصبح الناس في أرض بلادهم كالمُغتربين، كان السفر في أنحاء العراق هدفاً لبعضهم، لكنها أصبح سماً يتجرعونه كل يوم وكل ساعة، لا يعلمون كيف يتخلصون منه؟ جميعهم تسمموا به حتى الصغار.!

بدأت وفود المتطوعين تتوافد يومياً إلى تازة امتلأت جوامع وحُسينيات الناحية بالمتطوعين والجيش والشرطة القادمين من الجنوب، وامتلأت المخازن بالعتاد. السيارات العسكرية الضخمة تملأ السواتر، ولطائرات الحربية تُحلقُ في السماء، إنها ساعة الصفر، إما الانتصار أو الشهادة.

وبعد مرور فترةٍ طويلة بدأت العمليات مرةً أخرى، لستُ أدري أكانت هذه المرة هديةً من ربيع نيسان، أم قصة أمل في خريف النسيان.! ووجدت رُفاتاً تعود لإنسان في **قرية بشير!** ملقاةٍ على الأرض مغطاةٍ بعلامات التعذيب الوحشي التي لقاها صاحبها. لعل الرُفات تُعود لأحد الشهداء، تمت فحصها, كانت رُفات **السيد جعفر** ، أستشهد **السيد** انقطعت أنفاسهُ عن الحياة، ولكنهُ أصبح أحد رموز شيعة التركمان الشامخ، وبقي حياً في ذاكرة محبيه وأطفالهُ وأخيه الذي يبكيه كلما تذكرهُ قد انكسرت ظهرهُ بعده.

كانت **لسيد جعفر** أُمنيةٌ واحدة حيث كان يُرددها كثيراً وتلك الأمنية كانت كما يقولها هو

بطوره التي يقرأ بها:

_لروحي الولهى قبيل الموت أمنية ان **أنظر النجف الأعلى ووواديها** (1)

وأن أشم نسيمً طاهراً عبقاً يعطر الروح طيبا من لياليها

وأن أموت ويغدو تربها كفني فالأرض طاهرةٌ والمرتضى فيها

وتحققت هذه الأُمنية أتوا برُفاته الطاهر إلى **حُسينية علي الأكبر** في تازة لتودعهُ البجدُ المقربين منه فقام أخيه يخطبُ بالناس وهو يجر أنفاسهُ ويبكيه بين كُل كلمتين وبعد الغُسل والتكفين. **في نجف الأشرف** شيعهُ أخيه يُشاركه الحاضرين من أهالي منطقتهِ ومن معارفهِ وعلماءٍ من نجف في **مرقد الإمام علي (عليه السلام)** وهم ينادون **"لبيك يا مهدي"** أقاموا عليه الصلاة بجمعٍ غفير وودعوه والوجوه من كثر دموع أصبحت شاحبة حتى دفنوه الى جانب مرقد جده في **وادي السلام**.

فينعاهُ أخيه سيد صادق الموسوي الممتلئ قلبه بجروح إخوته وهو واقفٌ فوق رأسهِ قائلاً:

_ لقد فقدتُك يا يوسفي كما فقد يعقوب يوسفه

أنا مجروحٌ مثلهُ أصبرُ على يوسفي...

يا مُرجعٍ ليعقوب عزيزهُ أنا أيضاً فارقت حبيبي.

أيتها الأفلاك انصفيني..

قد اعطيتني جُرحاً فوق جُروحي

وزدتِ في انيني شققتِ سنيني...

أين بقى نعشُ العباس تعالى وخذ بيدي

قد فقد الحسين أخاه

وأنا فقدتُ أخي...

لقد رجع غائبُ أربعين سنةً

ولم يرجع غائبُ تسعة أشهرِ يا سيدي..

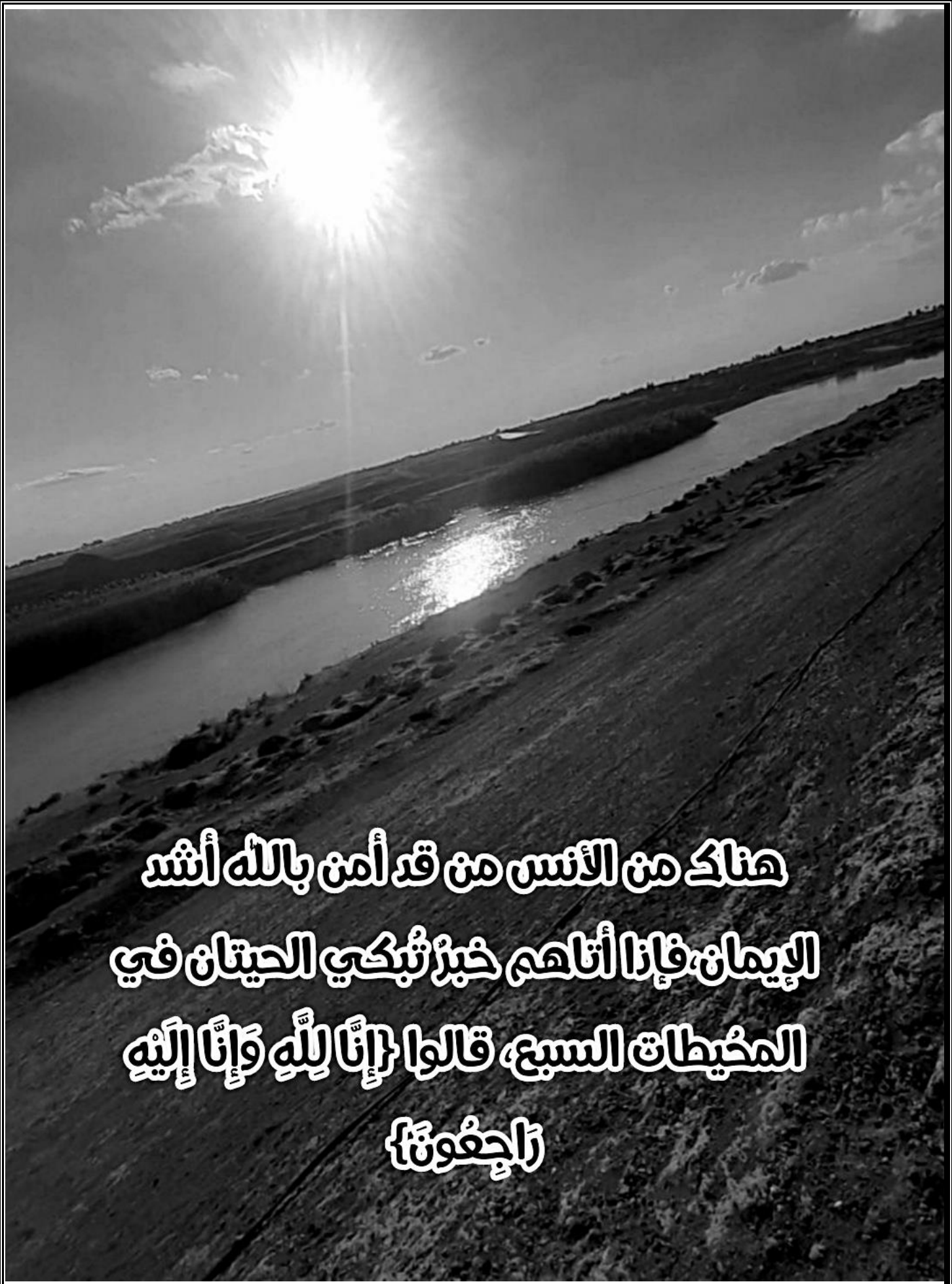
هناك من الأنس من قد أمن بالله أشد
الإيمان، فإذا أتاهم خبرٌ تُبكي الحيتان في
المحيطات السبع، قالوا {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ}

هل أنا أُم؟

الشهيد علي ياغمور

30 نيسان 2016

كركوك / قصبة بشير

من قال إن دم الشهيد هي التي تروي أرض وطنه فقط؟!

إنه أول جرحٍ تعيشه مرتين، إنه زهرة أغابنثوس البنفسجية، تلاحقها ملامحه الناعسة، ونظرات عيناه البنية عاصفةً بالمخ، صانعةً من الذكريات إعصار تيبٍ في عقلها، هذه حالها فكيف حاله دونها؟

_ يا لها من إمرأة لا تبكي، لا قلب لها، كم هي قوية!

_قوية؟!

_نعم أنها قوية.

دارت المدينة داراً دار، لم تبقي مجلساً الا تحدثت عنه، لا يبكيها فراقه، لا تدري، لما؟! تشعر وكأن جمراً تحترق في فؤادها، ينقبض قلبها وتنقطع نفسها ثم ترجع طبيعية، طيفه لا يغادر عيناها تراه أينما حلت بصرها. ها هناك الأمس كان يضطجع متوسداً على مخدته السوداء يشاهد تلفاز، وهناك كان يجلس على المنضدة ويأكل وحبه الشديد لأكلاتنا الشعبية واضحة. هناك في الحديقة حين وقع، صاح، " أمي، أمي ".

وهناك في باب الغرفة حين رجع أول يومٍ من الدوام نزع حذائهِ ودرعهِ ووضع سلاحهِ جنبها ثم ذهب إلى غرفته وقع على وجهه في سريره، غمر نفسه فيها، ودخل في نومٍ عميق، كان يبدو كطفل رضيع في المهد، بريء الملامح وهادئ جداً. وهناك حيث دخل عريساً من الباب، كان في كامل وقاره..

كانت تتخبط باحثةً عن شيئاً يهدئها، كانت في أوج سعادتها وسرورها ، وحين رزق بطفله الأول، كانت قد أصبحت جدة لأول مرة.

لا شيء أحب للإنسان "من ولده إلا ولد ولده ".

أين هو الآن؟؟ أي أرضٍ تأويه ؟؟"

وكأن أحد أبناءها يسألها :

_أمي لما لا تنامين ؟؟

_لا أقدر فالنوم فارق عيناي.

_ما هذه ؟؟ أهي صورة علي؟؟

_نعم.

_أعطيني إياها وإخلدِ إلى نوم، راعي صحتك قليلاً.

_ أراعي صحتي يا لها من مزحة جميلة.

وكيف تنام من بقلبها الألم؟؟

في غيابك يا علي أصبحت الحزن دار مقرها، وأصبح جرحك مضطجعها، وكلماتك تمتلئ بها مساحة ذاكرتها، وأصبح مسكنك مقلتاها لتعيش فيها، الحزن وإن كان يبقيها تعيسةً لكنه يحسسها بأنها لم تخن معك عهد الوفاء. لم تضحك منذ سنتين مرت. ولكنها لم تبكي.!

لما لا تبكي أنثى مفارقة؟!

وهل توجد إمرأة لا تعرف البكاء؟!

البكاء ما يجعل القلب يرتاح من حزنه، ولكنها وإن كنت أخيرة زمانها فإنها تنتمي لتلك القائمة من الأمهات التي عندما أتاها خبر أستشهاد إبنها لم تبكي. يموت إبنها ولا تبكي، في ذلك اليوم المشؤوم كان علي يقوم بتفكيك العبوات بعد تفكيك ثلاث بيوت قام بتفكيك الرابعة ولكن العبوات كانت معقدة في الربط لم يستطع فكها وأثناء محاولة تفكيكه انفجرت عليه وأستشهد.

وحين سمعت الخبر تسمرت في مكانها أحست وكأن كتلاً من النار وقعت في تصدعات قلبها ولكن..! نعم لم تصرخ، قلبها تبكي ولكن لم تتحرك ساكن لم تحدث، عيونها عاجزة عن الدموع، كالغيمة التي تترعد وتبرق وتعصف الرياح دون أن تمطر. مرت عزاء إبنها ثلاثة أيامٍ بلياليها، واست الجميع وقرأت أشعار الرثاء وروت الحنين كأس ألمٍ، وقصائد الفراق, ولكن...! ذات ليلةٍ كانت تتساءل، لم تنم بقيت تفكر وهي تردد في نفسها:

_ هل كان إبني أبن سيءً؟ هل كان عاقاً بحقي؟ "هل أنا أم؟؟ ".

ولدها الذي يشبه طائر السنقر، يخبئ بين جناحيه الكبيرتان حقيقة الصمود، العابر لمسافة الفاصلة بين اللقاء والفراق. يحلق عالياً مارً للقارات نحو الشمس رافعاً ببصره نحوها، يحكي قصص الأبطال، والحروب الدامية عبر تأريخ في العصور الوسطى، وكأن بياضه الصارخ يشع بضوء الحقيقة التي لا يتجاهلها سوى المنافق، وخطوط السواد على بياضه، ما هي إلا الدلالة على الأكاذيب التي تلطخ وجه الحقيقة البيضاء.

بدأت تنعاه:

_فراقك ليس عندي بهين وأنيني يبكي الحجر

حاولت محوك من العين والعين دونك تأبى النظر

توسدت على سريرها وهي بهذا التفكير غافلها النوم. رأته في عالم الرؤيا، وهو في منظرً بهي يلبس قميصاً أبيض وعلامات الغبطة عارمة على وجهه، رأته من بعيد، سارت حتى تقترب منه، لكنه كلما قربت هي أبتعد هو، كان في منطقةً خلابة، بالغة الجمال، خضراء تشرح النفس، وتريح القلب المثقل بالأحزان، وزرقاء، نخيلٌ وأعناب، وقصورً من الذهب مونقة، لم ترى أجمل منها، فيها من كل ما خلق الله ومما أشتهت أنفسهم، وحورٌ عينٌ كأمثال لؤلؤ المكنون جزاءٍ بما كانوا يعملون، مكان كادت تفقد عقلها من جمالها فلا مكان كهذه في الدنيا. الجمال يجعل درب الحزن ورودًا يحول شوك الأيام إلى أشجارٍ مثمرة، يزرع في القلوب الخاوية الأمل من جديد، أنه أروع ما خلقه الله**!** هل هذا المكان؟

نعم، **(وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)** ذلك وعدٌ من رب العالمين.

سارت قليلاً وإذا بها ترى أشخاص تعرفهم أنهم الشباب الذين أستشهدوا مع إبنها الحبيب **علي**، أتوا عندها كل واحد فيهم يبدو أجمل من الآخر في وجوههم نور عجيب، نور يكاد يعميها، وجوه نيرة مبشرة وفرحة مطمئنة، كل واحد منهم لديه قصر عظيم من الذهب والألماس والياقوت والمرجان، ألتفتت بنظراتها تبحث بينهم على إبنها **علي**. فخرج لها من بين الجمع كعودة علي الأكبر لحضن ليلى يوم عاشوراء. حضنته وتبادلا السؤال عن الأحوال، أخذها الى قصوره...إندهشت**!** مُتسائلةً :

_لما إبني أنا دون باقي الشهداء؟؟؟ لما كل شهيد لديه قصر واحد؟ وإبني لديه تسعة؟! ما العمل الذي عمله إبني؟؟ حتى أصبح مقامه أكبر من باقي شهداء؟

راجعت نفسها كثيراً. فأغلبهم قد ترك زوجته خطيبته تعاني من الوحدة. ترك أطفالهُ الصغار أيتاماً لا والد لهم بعده، خلف أباً يحترق لأجله كل غروب، تركوا أخوتهم دون سندٍ ودون ظهر، تركوا دورهم وديارهم، حاربوا بشراسة لأجل الحرية، لأجل كلمة الوطن، لأجل أن لا تسكت صرخة **"لبيك يا علي".**

كلٍ ضحى بأمانيهِ وأحلامهِ، ضحى بكل ما يملك لأجل كرامة هذا الوطن أستشهد لتدوم عزه. لكي لا تموت حضارتهِ. إذاً لماذا إبنها هي؟ لما علي بالذات؟!

قامت من نوم وهي منشغلة في هذه الأسئلة أنفاسها تعاند قصباتها تأبى الخروج. هناك راجعت نفسها، وبعد ساعةً من التفكير، وتحليل علمت السبب. أنها السبب فهي لم تبكي على إبنها لم تشق جيباً، بظني أن الله كافأ على صبرها ولدها ثمانية قصور ..

الصبر ثوابها عظيم وإن كان بابا للفرج فهو أيضاً قوة لتواجه مصائب الدهر وابتلاءات القدر.

في مرارة الحياة تجتاح سماء الروح غيوم المشاعر المختلفة أكثرها مطراً غيمة الأمل، وتلك الغيمة التي لا مطر لها و لا تظل من حرارة الشمس هي غيمة الجزع.

دخلت غرفة **علي**، شمعات غرفته مطفأة، سكوت وهدوء يعم على أنحاء الغرفة، أوراق اللبلاب و توت في الحديقة تدخل نافذة الغرفة مصفرةً، وزهرة الغرنوقي الموضوعة في نافذة الغرفة قد ذبلت، لا صوت عدا الصدى، ولا لون عدا السواد. تكتم صوتها وتتعمق بمصدر الصوت لا ترى شيئاً، الأثاث والمرآة والسرير كل شيء ساكن، ومهد الطفل الى جانب السرير الصغير مغطى بقماش. أزرق سمائي يهتز ببطئ، السلاح و الدرع و الحذاء الموضوع جانب الخزانة الصغيرة في زاوية. والمروحة تدور مصدرةً صوت تهيج داخل الغرفة، ورائحة عطر ولدها تملأ المكان، تحورت المشاعر في داخلها خرجت هاربةً من السكون. خرجت الى الحديقة شجرة النخلة في وسط الحديقة فارعة سعوفها تحمل التمر تلمع كالذهب في عنق سمراءٍ ممشوقة القوام. وطيور الحمام البيضاء تقف على أغصان شجرة الرمان في جانب النخل، وتغرد البلبل في داخل قفصها الخشبية بلحنٍ غريب، الأطفال يمرحون، و يلعبون الكرة الدائرية البيضاء تتأرجح بين أقدامهم كأنها كرة الحياة تتأرجح بين الدنيا والآخرة، بين الفرح والحزن. أبن **علي** يحدق من بعيد..

فتسأله :

_ولدي حسين تعالى إلي.

_ نعم جدتي.

_ما بك؟ لما لا تلعب مع الأطفال؟

_أنتظر والدي سيأتي ونلعب معاً مثل كل مساء.

علي لديه ولدان، بعد أستشهاده لم تراهما يبتسمان كلما تكلما دمعت عيناهما، وبح صوتهما.. قالت حين كانوا يعلقون صورتهُ:

_أتمنى أن يكون مصيري ومصير زوجي وأولادي جميعاً مصير علي لست حزينة على ولدي، فأنا ممتنة لله أن جعلني أُم شهيد، الموت لنا جميعنا، ولكن إن كنا نموت فلنمت بشرف. غداً عندما نقف تحت ملكوت الرحمان ليحاسبنا، سينفعنا الشهيد. ويشفع لنا، ولكن لغة القلوب تختلف فأنا اتألم. ولكن موتهِ فخرٌ لنا...

لقد مرت سنة على أستشهاده. ها هي تعيش جرح فراقه من جديد فولده لم ينسه، يتعبها وكأنه يخز مسامير في أذنها كلما ناداها، فكلما رأها جالسة. ركض إلى حضنها.

واردف:

_جدتي أين هو أبي، متى سيعود؟ أنني أشتاق إليه كثيراً. لما لا يعود إلينا؟ ألا يحبنا أبي يا جدتي؟

فتحتار لا تعلم بما تجيبه!

أعمامه لم يقصروا في حقه فأين ما ذهبوا أخذوه معهم، ولكنه لا يكف في سؤال عن والده، لأنه مهما حصل لا أحد يعوض الطفل عن أبيه.

فهل يعوض ندى البحر أن جف ماؤه؟! أو يعوض الهور سد الموصل بعد سنوات من جفافه؟!

أيكفي عسل العراق لتحلية ملوحة شط بصراه؟!

يتفاخر الرجال بحبهم للوطن، وبدمائهم التي تروي أرضه، ولا يدركون أن كل فضائلهم بسبب المرأة. فلولا تلك المرأة العظيمة التي أنجبتك وعلمتك هذه الخصال ما كنت على ساتر بل كنت في الدول الأعداء تغني وترقص لإسرائيل على دماء شهداءك.

الدماء هي دماء أمه التي جرت فهي التي أشربته من دماءها حتى أصبح إنساناً سوياً، **"فسلاماً على أمهات الشهداء"** و **"تحية إجلال لأم علي ياغمور لله".**

لله درها من إمرأة ما كان **عليٌ** ليصل إلى هنا لولا حليبها طاهر وتحية لكل الأمهات فلولاهن ما كان ليكون أولادهن.

هناك عوائلٌ بقوا دون معين، لم يكفي الزمن حين أخذ منهم أبوهم وحرمهم منه حتى جعلهم عرضة للمشاكل والفقر. عوائلُ حرمت من كليها الحامي والمعيل الكثيرون أصبحوا بلا أب, بلا وطن, بلا مال وبلا دار، في وطنٍ يضيع هوية من لديه أب، ما بالك بهوية اليتيم؟؟

ها هي صور الشهداء تتغطى بعلم بلادهم لتشرح الرسالة الأخيرة **"انسونا أيها الأحباب فقد حان الرحيل و أتت لحظة الوداع إننا في المحطة الأخيرة من هذه الحياة "**. تفوح منها عطر البارود و الدماء تظل على صورهم كما تغطي قبورهم. بعبارة **"الله أكبر".**

هذا الشهيد **أحمد عادل،** وذاك **عبد الرزاق،** وهذا **مصطفى** وذاك صورة **محمد** وهناك حيث الشرطي يقف صورة **حسين،** وهذا **عباس،** وهذا **يونس،** وهذا **مهند** وذلك هناك في البعيد أنه صورة **أسماعيل** . وذاك عند مدخل السيطرة حيث يقف الشرطي أنه الجسور **علي ياغمور**.

نُحن لا نكرهُ الحياة،
ولكن ثمة أرواح نُحن مسؤولين عن حياة
أصحابها،
لذلك نرمي بأنفسنا في هاليز الغُربة،
ونستشهدُ ليحيا أحبائنا..

هان كل شيءٍ بعد أخي

صالح أحمد التازلي

18 شباط 2018

كركوك / الحويجة

كانت حزينة بما يكفي وقوية لتحكي قصتها التي أعرف جله على كل حال فأنا بقرب الجفن لها من العين . قبل أن تبدأ كنت أريد أن أحضنها وأردد على مسامعها، **"لا تخافي الفراق وإن طال فلقاء الأحباب أمرٌ أكيد". لكن قلت لها" أؤمن بكِ، فأنا أعلم إنك فتاةٌ قوية..."!**

لكن عيونها كانت وكأنها تتوسل بالحاضرات من صديقاتها، و تردف :**"أسكتن أرجوكن لا تجعلنني أبكي أكثر لم تعد لديه طاقة لأتحمل ولا تطلبن مني أن أتكلم لقد خارت قواي".**

عندما رأيت تلك نظرة أردت أن أقول لها**" أنه سيعود "**.

جامعة موصل وقسمهِ الداخلي، تعني جثثاً تحت الأنقاض، روائح كريهة، بيوتًا مهدومة، أمان معدوم، شعارات مغرضة، مجوهرات وأموال مسلوبة، كفرٌ معلن، أفعالٌ شنعاء في حق الإنسانية، عوائل مهجرة، حربٌ معلن ضد البشرية، لحى طويلة وشعرٌ أطول، تفجير وتهجير وغير ذلك الفراق والألم كل ذلك يجتمع في مكان أنه الموصل، ها أنا الآن في امتحان الكورس الأول بقى لديه امتحانٌ أخير سأرجع إلى أهلي بعد فراقٍ طويل، سأنزل هذا اليوم كما طلبت عائلتي، أجلس تحت القمر ألبس فرو والدي الذي جلبته معي، أذرف الدموع في ليلة الوحدة الباردة هذه. مرت الساعات لم أستطع النوم لقد مرت ست ساعات وثلاثمئة وستين دقيقة وثلاثة آلاف وستمئة ثانية، رن المنبه إنها الساعة المنتظرة تجهزت. ركبت سيارة صديقتي وأخيها، نسير في طرقات موصل الموحشة الخالية من المدنيين، المليئة بالعسكرين، وكأنها معركة ثعلب صحراء بل أشد وطئاً، طائرات الأباتشي تحلق في السماء كسربٍ كامل من طيور الططوة، الجنود منتشرون جماعات و كأنهم مجتمعات نحل، أولئك بدلاتهم خضراء، وهؤلاء زرقاء، وأولئك الواقفين بجانب سيارات السوداء المظللة في نهاية السيطرة إنهم جماعة المكافحة. لقد خرجنا من الموصل، في القلب الحنين، وفي العقل الذكريات، وفي العيون الدموع. أنا هاربةٌ من موصل ولكن لي أملٌ برجوع بعد أن أستجمع نفسي.

وصلنا إلى كركوك عيناي تبحثان عن رجلٌ ذو هيبةٍ وشيبة، لكنما لا أحد. والدي لم يأتي، أين هو يا ترى؟ وصل خالي وأقلني ركبت الى الأمام بجانبه، عيناه متورمتان، وجهه عابس يتنفس صعداء، لم أتحدث بكلمة لقد كنت منشغلة أراقب الطرقات، كالتي قضت حياتها في البدو تدخل مدينة لأول مرة في حياتها، أستنشق هواء كركوك الباردة وأنظر إلى الخضراء الممتد على طرفي الطريق.

أدرت وجهي إلى طرف ثاني وإذا بخالي يبكي.! عندما إنتبه ألي أخفاها. أراقب السماء تغطيه السحب وتشع الشمس من بين قطرات ماءه، ألبس السواد، أخبرت حمام الأيكة عن آلميِ فلعله ينقل حنيني لأهلي. فقلبي الحراء، فيه لهفة عظيمة، وعيوني الحوراء تتجمل بخطوطها الحمراء، وشفاهي كحبات البرقوق الناشف تشتكي الذبول من قلة الماء.!

أردف لي خالي:

_لديه خبر لكِ، لكن أعهديني أن تتماسكي.

_وما هو؟

_صالح وقع الأمس في كمين في الحويجة.

أبعدت نظري عنه، أخذت شهقةً كانت الاقوى في حياتي.

_وما هي الأخبار؟

_هو مجروح.

وصلنا البيت، أين هو أبي؟ و أين هو أخي؟ من هؤلاء النساء؟ لما بيتنا مزدحمٌ هكذا؟ أين هم أهلي؟ لقد أتيت للقاء أهلي، أخي. لا لرؤيته مجروحاً طريح المشافي، أخي لم يكن ينام ليله كان يقضيها في صلاة الليل، هو كان حتى في استحمامه يقرأ القرآن كيف ينام في العناية تحت أيدي الأطباء مخدراً غائباً عن وعيه؟ إنها الساعة الثانية عشر إنها موعد صلاة الظهر. ما هذه الأصوات في دارنا؟ هل أقامت والدتي مجلساً من أجل صحة أخي؟ ألا يجب أن تكون عنده؟

فرددتُ على الحاضرات :

_أين هو صالح الآن؟ ولما تلبسون السواد؟

_لا تخافي أنه بخير.

_صالح قد أستشهد، (صوتٌ غريب)

_ماذا؟

_حوراء، حوراء قومي، لقد فقدت الوعي أعطونا ماء.

_حوراء قومي (رشو الماء عليها)

_ أستفاقت، حوراء إذهبي إلى أمكِ.

الكل تلبس السواد، تلطمن وتبكين، وترثيه الناعية بأبيات الإمام علي (عليه السلام) :

_ألا يا نائم الليل كيف المنام يطيب

الموت حق ولكن الفراق صعيب(1)
تغربت عن وطني فطالت غربتي

فيا أسفي على الدنيا أموت غريب

أموت ولم يدري أهلي بموتتي لكن

تصريف الزمان كان عجيب

وقعتُ على والدتي، تبكي، وتنتحب حضنتني بقوة، كادت أضلعي تخرج من مكانها، تحدثنا بالعيون فالمتألمين يفهمون بعضهم من نظرة، لا سعادة بعد هذا اليوم، انتهت الناعية وبدأت والدتي، و هي تصرخ **" وصالحاه، وولداه".**

أرضنا تحب الصالحين. أنها تحضنهم في ثراها الشهداء لا يحبون دخول الحياة، لا يركضون خلف فتاة هذه الحياة الزائفة، أنهم متشوقون إلى الجنة العالية التي قطوفها دانية ليأكلوا ويشربوا هنيئاً على ما أسلفوا في أيامهم الخالية، يركضون خلف الموت ركض الأسد خلف فريسته، و يواجهونه مواجهة أيوب لمرضه، هذه الأرض ما هي إلا كومة تراب، ولكن بينها وبين الشهداء ميثاقُ عشقٍ أزلي، وتأريخ وفاءٍ أبدي وسرمدي. أتجرع آلامي الخاصة، أشتاق فأتألم فأبكي، لا أحد لأشكو له حزني، هنا، ها هنا بالضبط، وتشير بيدها إلى صدرها.

تردف مخاطبةً لأخيها :

_أخي صالح. هل إلى عودة سبيل؟!

كلا فرجوعه مستحيل، أيتها المطر توقفي عن غسل الأرض من دماءه، فدماءه أطهر من مائكِ، أيها القدر أرجوك هلا تجيب مطلبي أعده لي مجرد يوم أشمه وأشبع من حضنه، وأعاهدك ميثاق شرف إني لن أطلب منك شيئاً آخر، أيها الغسال أغسله، وكفنه على روية فجسمه محترق، تأنى في غسل حروقه، أيها الدفان تحنن في أنزاله قبره رفقاً به، أيها التراب أحنو أرحه في أحضانك. يا ملكان يا منكر رفقا حين تسأله، ويا نكير أخبره عن **المهدي (عليه السلام)** قبل كل شيء، فلا غاية له سوى لقاءه. مكانه على الساتر ظل فارغاً، ومصلاه تشتكي الوحدة. كتب أخي مرة:

_أنا أتعجب ممن يلومون المقاومة وقائدها، وهم مجموعة من الجهلة، ويسكتون عن مؤامرات الصهيونية في بلدهم.

أخي كان مناضلاً إلى حد الألم....

وكان يؤمن بهذا الطريق إيماناً صادقاً فكان يُردد :

_نحن اتينا هنا وقد وضعنا قلوبنا قبل دروعنا، نحن نتمنى أن نكون شُهداء ونُحشر مع الإمام الحسين (عليه السلام) وأنصاره، لإننا قد أمنا بهذا الطريق يقيناً..

ذات صباح أبرد من الثلج، خرج أخي وأصدقائه إلى العمليات في الحويجة، ولكن غدر بهم من لم يملك من شجاعة ذرة. فوقعوا في الكمين وأستشهدوا، أخي كان قائداً.

تقول أختي في ذلك اليوم من شهر فبراير عام 2018 عندما أتى خبر وقوع أخي في الكمين كان العصر بقينا الليل نترقب الباب برجوعه سالماً أو مصاباً نأمل أن يرجع حياً، لكن لم نتوقع للحظة رجوعه شهيداً.

مرت الأيام طرق الباب قام والدي وفتحه.

جماعةٌ مِنَ الرّجالِ بعدَ الحديثِ قاموا بالرَّحيلِ وبعدَ ذهابِهم دَخلَ أبي علينا الغرفةِ جلس قريباً من أمي وبدأ يبكي.

الرجال كانوا يريدون فحص الجثث يقولون إنهم غير متأكدين فجثة الشهيد ليست لأبنهم بمعنى إنهم سينبشون القبر، بدأت والدتي بـالنياح، وتصيح بعالي صوتها:

_لا يمكن، لن أقبل، إتصل بهم أخبرهم إن ذلك غير ممكن، ماذا يعني نبش القبر؟؟!

هكذا كانت تريد أم الشهيد الآخر إنهم من سادة الجنوب تريد ولدها.

كانت أمي تقول:

_أنا أيضاً أم شهيد، ما فرقنا؟ قلت لكم، دعوني أراه قبل دفنه فأنا اعرف ولدي ولم تسمحوا لي.

لم يكن بداً من تحليل ما بيدنا حيلة، وستبقى الجثمان في ثلاجة الموتى، أليس هذا ظلماً؟

أردفت أمي:

_أخبروها أنني سأقوم بزيارة القبر مثل ولدي وهي لتفعل مثلي ودعونا لا ننبش القبر، ألا يكفي هذه الحرائق في أجسادهم؟.

كان أبي ساكتاً راح يبكي ويثري أخي، **وولداه وصالحاه،** وأتى موعد تحليل الجثث بقت أجسادهم الطاهرة فترة جيدة في الثلاجة وجوههم أجسادهم كانت أكثرها محترقة، شهداء بعمر الورود، كانت هذه الحرب ضيفتنا المزعجة، قدمنا لها، بدل فنجان القهوة، فنجان دماء، فنجانين، وفناجين ولم ترتوي. العراق ينزف، الدماء تجري جريان السيل في موسم الأمطار، من سرق عطر أزهاره؟ من شتت جمعه؟ من أضاع حقه؟ تبكي عليه الأعين، والقلوب مشحونةٌ بالأسى، ما ذنب عاشقه غير أنه بصدقٍ هواه؟ و متى كان الحب جريمةً وعليه يعاقب الجاني؟ في مراتٍ كثيرة أنقذ أخي نفسه بأعجوبة كان بينه وبين الموت أشبار، مرة بقي في بشير أياماً بلياليها ولكنه نجى.

تم تحليل الجثث، جميع من أستشهدوا في ذلك الكمين في حويجة في **١٨ عشر من شهر شباط للعام 2018،** ونتيجة الجثث كلها كانت سلبية. إلا أخي وذاك السيد أمه كانت على حق. وهل تخطئ قلبٌ ذاقت الفراق في التعرف على أحبابها؟ هل تخطئ قلب الأم؟ جاءوا بتابوت أخي، غسل وكفن ودفنٌ من جديد. ما أعظمها من مصيبة، كيف تشرح للقلب؟ أدخلوا أخي في داره الجديد، أنه الشهيد الذي دفن مرتين، تالله إني أعجز عن وصف شعوري في ذلك الحين**!** أنها لحظة الوداع الأخيرة، كم أكره لحظات الوداع، أدفنوني ولا تقولوا لي **"الوداع"**. إنها كمن يتشبث بغصنٍ صغيرٍ ميت أن أفلتها وقع في الوادي السحيق. وإذا ودعت فلا لقاء بعده.

ها هنا الآن أنا فوق قبر أخي إنها عيد الأضحى لقد نجحت في أمتحاناتي أصبحت في المرحلة الثانية لطالما تمنى أخي رؤيتي وأنا أرتدي صدريتي البيضاء وأعالج المرضى لكنه ذهب دون تحقيق أمنيته، أحاول النجاح بأقسى طاقتي لتحقيق حلمه ولكن لا طعم للحياة بدونه. كل شيء زائف كالماء لا طعم له ولا لون ولا رائحة. حياتنا كاذبة عندما أنظر إلى أبناء أخي الكبير وأنظر إلى والدهم أرى الدمع بطرف عينه كلما سأله أطفاله:

_أبي أين عمي صالح؟ لما لا يأتينا؟

أبناء أخي أصبحوا يعرفون طريق المقبرة أكثر من طريق البيت. أما والدهم فلا تسألونني عن حاله فهو أسوء حالاً من والدتي جميعنا عوضنا به ولكن، من يعوضه؟

_لقد قال أبي أن كلها ستهون وكان صادقاً فقد هان كل شيءٍ بعد أخي.

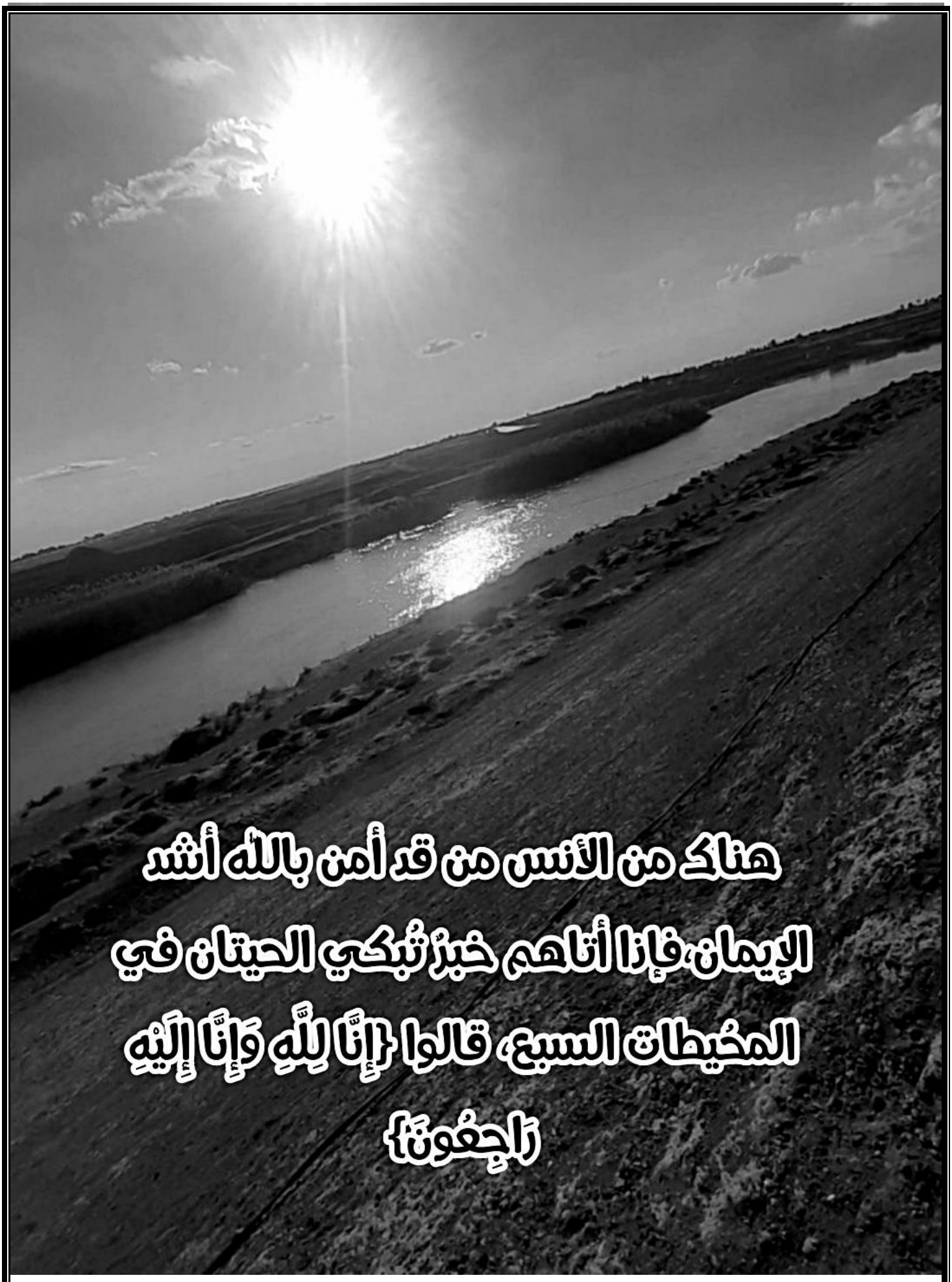
هناك من الأنس من قد أمن بالله أشد
الإيمان، فإذا أتاهم خبرٌ تُبكي الحيتان في
المحيطات السبع، قالوا {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ}

العنوان المنشود

عباس عمران الإماملي

29 تشرين الثاني 2017

داقوق / طرف جسر العثماني

حين غزت داعش (غُول زمانهم) المقدحرين العراق، الذين ألتو الناس حقوقهم، واقترفوا السبع الموبقات.! أفتى سيد السيستاني الذي يُدير المُقاتلين بمعرفتهِ فهو الأب الروحي لجنودهِ. يرشُ فتيل الفتنة التي تمرُ على بلادهِ ببضع خُطب ليُطفئ نيرانها بكأس حكمتهِ، فتواه للجهاد التي شملت مجموعة دون أخرى وحين سمع مقاتليه السريين فتواه في صحن الحسيني الشريف صاحوا **"تاج تاج على الرأس سيد علي السيستاني"** ثم بدأوا بالتطوع.

ومن بين الذين لبوا ندائهُ، كان هُناك رجلٍ تركماني، حُضورهُ يُفرضُ سُلطته، جسارتهُ تُفرض مهابتهُ، هذا ما يظهر عليه!. إنه رجلٌ كالجبل أحياناً تُغطي جسدهُ الجروح كما تُغطي الثلوج قمم الجبال ، وأحياناً يخرج من داخله بركانٍ يُذيب صخور هدوءه فتحوله إلى أسدٍ غاضب ، ولكنه ما زال شامخاً لا يؤثر فيه شيء. أبن القرية ومقامها في العالية، **مقامُ الإمام زين العابدين (عليه السلام).**

أنظم الرجلُ إلى الحشد ونُصب قائداً مُساعد آمر فوج حشد داقوق، يحترمهُ جنوده، أبٌ لثلاثة أطفال، قائدٌ صارم كالصيقل المسلول، يتخذُ قراراتٍ تُبنى على الشجاعة لا يُنفذها الا الأبطال، ربما شخصيتهُ النابغة تُبرر له كُل ذلك الحزم، و كُل تلك الثبات والعزيمة.

٢٩ تشرين الثاني خرج للحرب في عمليات لتطهير منطقتهِ من الإرهابيين الذين أكثروا عملياتهم في المنطقة، وفي أثناء العملية بعد ساعاتٍ طويلة من التعب والجهد ، **عباس عمران وأصدقائه الأبطال،** وقعوا في الكمين، نصبهُ أعدائهم لأنهم يخشون النزال المباشر، أضطر الحشد للإنسحاب، فبقي عباس ومعهُ صديقين مُحاصرين بطرف **جسر العثماني جنوب شرق داقوق،** وأعداءهم يحيطون بهم من كل جانب والنيران من كل صوب.!

لا شيء يبشر بالخير، فئة من الأسود يعدون على الأصابع، يُحيط بهم قطيعٌ كامل من الخنازير البرية، حين **"تغلبُ الكثرة الشجاعة"**، وحين **"يتمكن الخنزير من الأسد"!**. هناك تنتهي الكلام. أقترب الوقت من الغروب بدأت السماء تحمر الشمس تختبئُ خلف السحب الراكدة التي كونتها الدخان المُتصاعد من أفواه البنادق الطيور تُحلق نحوها في لوحةٍ حمراء واقعية، في الأرض التي تتزينُ بخضارها وماءها وجسرها الأثري.. وما زال الأبطال يقاومون.!

أتصل عباس أبو الفضل بأبيه وعمه:

_السلام عليكم.

_وعليكم السلام، كيف حالُك يا ثمرة حُزني؟

فرد عباس وقد أنهكته شدة المُقاومة:

_أبي، أدعوا لنا، لم يبقى لدي سوى مخزنٍ واحد، والعتاد على وشك الانتهاء.

_نصركم الله يا ولدي، قلوبنا معكم.

_أبي العزيز لديه وصية.

_ماذا تقول يا ولدي؟

أنها من أعجوبة العراقيين بالعادة الأب من يوصي ولدهِ، لكنهُ العراق حيثُ كل شيءٍ مُختلف. حيثُ الساعة تسير بالعكس.!

_أبي أنا إن رجعتُ سالماً سأقوم بذبح ذبيحة ثواباً لأبي عبدالله.

_إن شاء الله يا ولدي، سترجع لا محالة.

_ لكني إن استشهدتُ فأوصيكم بأطفالي خيراً أنهم أمانتي في ذمتكم .

وهكذا أوصى عباس والدهُ فكانت أثر وصيتهُ عليه كمن يرمونه من فوق تلةٍ عالية.

دخل الليل الساعة أمست قرابة الثامنة، وإذا بالخبر الذي لن تتقبلهُ والدتهُ بسهولة، أتدركون ما هو الخبر؟

الخبر يقول :لقد تمكن الخنزير من الأسد!

بعد اشتباكٍ طويل ، قبل أن يُدركهم الإمداد، وهم يقاتلون بشراسة رغم قلة الناصر وانتهاء العتاد، وهناك تمكن منهم الأعداء بعد أن أحاطوا بهم ولفوا على جوانبهم كلف النمل حول حبة السكر، بل كلف جيش شمرٍ حول زهير ابن قين، قاتلوا، ثم قاتلوا أقل، ثم قاتلوا قليلا، ثم ضعفت شاؤهم، وهناك اعتزلت أرواحهم حياتهم فدقت ساعة الصفر أجراسها وأذنت الجوامع حيعلة تشييع شهدائكم. في ذلك اليوم قد أصيبُ الكثيرون من أصدقائهم أصبحت داقوق وكأنها ساحة حرب، يسمع فيها صوت الرصاص بملء الأذن ، فأنقسم الناس فيها، قسمٌ في المشافي، وقسمٌ في المقابر، **عباس وصديقيه** ذهبوا لينعموا براحة الأبدية، ليقطعوا وتين قلوب أمهاتهم...

فقام أهالي منطقتهِ بأخذ جثمان شهيدهم إلى مقام الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وقاموا بتوديعه بموكب الشموع الضخم الذي لا يرى بدايتهُ من نهايته إلى منفاه الأخير وعنوانهِ الذي سيُثبت خلال ساعات، **عباس على وشك الوصول إلى مكانه المنشود الذي سيُثبته كعنوانٍ له عنوانه الأبدي "المقبرة" فهو يؤدي طقوسه الأخيرة ..**

بعد توديعه من قبل أهله وجموع الحاشدة التي شاركت في توديعه ومواساة عائلته على مُصابهم جلل وبعد مراسيم تشييع، تم إدخاله الى قبره التي كانت تنتظرهُ بفارغ صبر قد تجهزت لهُ وكأنها تتجهزُ لاستقبال عريس، نعم عريسٌ مرةً أخرى ، لكنما هذه المرة من نوعٍ آخر فوالدتهُ تنتحبُ على عكس زواجه الأول، فوالدهُ يحترقُ، عائلتهُ حزينة اصدقائهُ يبكون، يلبس الكفن الأبيض بدل بدلته السوداء مُكبلٌ بالحبال بدل ساعة يده الغالية تفوح منه أريجُ دماء بدل عطر المسك والعنبر زفوه لها وادخلوه فيها فنام فيها وكأنها سريره، هادئٌ لا يُسمع صوت شخيرهُ، وكأنه داخلٌ في سُبات وكأنه لم ينم أبداً اهالوا عليه تراب فأصبحت ثراه بطانيته ووسادته، داقوق و قرية الإمام زين العابدين (عليه السلام) نامت تلك الليلة، وقلبها ينزف الحُزن لقد فقدت ثلةً من أفضل رجالها وشُجعانها استشهد عباس لتحترق لياليه الوردية وتنام أحلامهُ معه تحت ثرى...

عباس ترك في نفوس من حوله مبداً علمهم عليه، فقد علمهم أن يتعلموا كيف ينهضون بعد كل وقوع كطفل الذي يتعلم السير حديثاً. فالمشاكل والصعوبات التي يواجهونها ما هي الا اختبارات لمدى إرادتهم وجاهزيتهم لمواجهتها. علمهم أن بعد كل شتاءٍ عاصف هناك ربيعٌ قادم، علمهم أن يكونوا شجعاناً لا يستسلمون أبداً، علمهم أن الأمل يولد في وسط الركام، يولد في وسط ازدحام الأحزان والهموم، فهو الغيث المُبارك بعد جفاف أشجار الحياة ودوام اصفرارها لإصابتها بمرض اليأس. علمهم أن يجمعوا الأمل والمحبة في قلوبهم، فالقلوب التي تملك الحُب والأمل قد أُتيت مُلك سُليمان، وقد أثبت جميع ما علمهم بشهادتهِ، فكانت دمائه شاهدةً على حبه قوته شجاعتهِ فكانت أملاً روت أرضه لتحيا من جديد، لأجل أن يعيش من أحبهم بسلام، ومؤكدٍ في الوقت نفسه أن بعض الجروح لا تلتئم لذا عليك بالصبر والإرادة، وقد أثبتت ذلك أمه..

تقوم والدته بحُضن **"فضلٍ"** كلما نادى أباه فلم يجدهُ مُحاولةٍ إسكاته عن البكاء لكنها تفشل لتشاركهُ دموع الصبابة مع زوجة عباس. رحل ولدها ليتركها تنتحبُ عليه وكأنها قد بترت يديها ومع صيب دموعها تصبر وتُكابر على حُزنها لكي تُرى قوية كما كانت قبل رحيله حتى تُداري أيتامهُ الذين حرموا منه وهم صغار ليعيشوا بعده حياة الحرمان من وجودهِ.

وهل يُدرك أحدْ معنى الحرمان من الأب عدا اليتيم؟

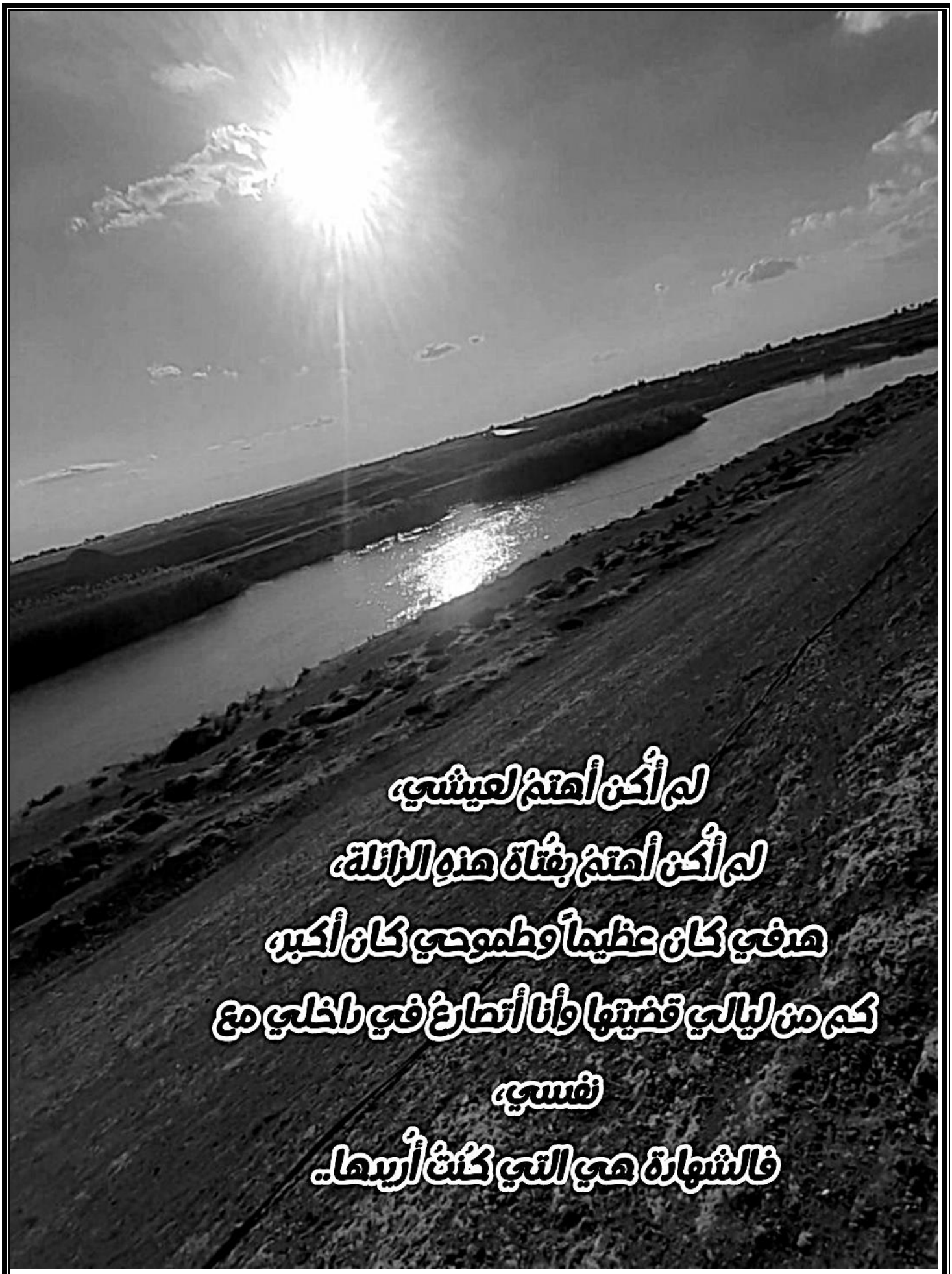
لم أكن أهتمُ لعيشي،
لم أكن أهتمُ بفتاة هذهِ الزائلة،
هدفي كان عظيماً وطموحي كان أكبر،
كم من ليالي قضيتها وأنا أتصارعُ في داخلي مع
نفسي،
فالشهادة هي التي كنتُ أُريدها..

قائدٌ في التأريخ

محمد فلاح عبدالواحد

11 تموز للعام 2020

قاطع عمليات ديالى

في زحمةٍ من الناس، بينما الجميع مُنشغلين في أعمال التصوير وما إلى ذلك، هُناك رمزيات قبورٍ وهمية ومعرضاً للشهداء، في هذا المعرض هناك قُصاصات صغيرة مكتوبة فيها أسماء شهداء كل فوج، من بين هذه القُصاصات هناك قُصاصة وردية صغيرة مكتوبة فيها:

_أنا الشهيدُ القادم محمد فلاح عبد الواحد!

كتبهُ الإعلامي الحشدي في **حشد التُركمان اللواء السادس عشر**، هل يُمكن أن يتحقق هذه الأُمنية؟

أنها عيد الفطر الجميع مُجتمعين ما أجملهُ من عيد، السعادة تُحلق في سماء أحزانهم، الحب والوصال يجمعهم فيُ مُشتتات أيامهم في بيت العائلة يحيطون بوالدتهم.

يُبادر ابن أخيه لمحمد قائلاً:

_عيدك سعيدٌ عمي، العيدية؟

_مُبارك عليك تفضل.

_عمي ربع فقط!

_نعم ،هيا قبلني.

فيُمازحه أخيه مُردداً:

_محمد أخي ،أنا أقبل يديك وأعطيني النقود كلها.

هل تدوم السعادة؟

خلف ابتسامته الطفولية يُكمن سرٌ وصمتٌ غريب يتوسط وجههُ في زحمة البشر، أنه عالمهُ الخاص، وجملتهِ المعروفة التي يُحادث بها الناس. فهو يسخر، ويتجاهل، ويرد، ويتساءل، يتواصل بمُختلف اللغُات فما دامت ابتسامتهُ موجودة فهو قادرٌ على تخطي الهموم.

خلف ذلك الوجه الضاحك يوجد رجلٍ يشمئزُ من الحياة، يُعاني بين عقله وقلبه من وحدته، بين المُدرعات نازلاً من هذا وراكباً بذاك يركض خلف أُمنيته التي كثيرةٌ على عمره الصغير فهو لم يُتجاوز حاجز العشرين، يركض لها والبسمة لا تُفارقه يعتريه الحُزن من بين يديه يأتي في آخر الليل لوداع الأحبة لوداع أمه التي عيناها في الباب، طرق عليها الباب ودخل وكأنه فتح عليها أبواب الجحيم، نظراتهُ التي تكشفُ نواياه الحقيقية التي يُخفيها خلف تعابيره المُزيفة .

لا تُحاول الإخفاء فقلب الأم دليلها!

ما نُواياك أيها الشاب؟

يا لها من ذبول ترتسمُ على وجهه الأسمر الذي يلوح شجرة النخيل بسمارهِ، ويا له من طولٍ فارع يصلُ العلياء، يا له من شخصيةٍ لا يُشبه عامة البشر، نادرٌ كالجوهرة المُختبئة في أعماق مُحيط القلوب، تبرقُ وتلمع كلمعة الذهب في سوق الذكريات، يحجبُ ضوء الحقيقة بأن كل ما في ذاكرة إلى سراب سينتهي كل شيء، وكأنه كان وهماً، خيالاً، أي شيء!

الا أنه لا يمكن أن يكون الحقيقة.!

هو يُقاتلُ في الجبهات ودائماً يكون من المُتقدمين يسيرُ كمن ليس لديهِ شيءٌ ليخسره، وكأن الدنيا قد ضاقت عليه بما وسعت هو متعلقٌ بحاضره يُخططُ للشهادة مُستقبلاً، تقرأ أمهٍ أفكاره فتحسُ بإنها ستفقدهُ قريباً لتحس بخذلان أحلامها وتناثرها أمام ناظريها، فتتأملهُ كُلما رجع من واجبهِ فتنشغلُ بملامحه حتى تعود للماضي، قد شاب فؤادها ، وعجزت في قلبها الذكريات، الذي كان الأمس القريب طفلاً صغيراً لا يأكل الا من يديها قد كبر. الذي كانت تسهرُ على صوت أحاديثه الشجية اليوم ليس معها، وهي في اشواقها تتقلبُ. إنها أرشيف العقل، وشريط القلب المشحون بالشُجون، يا صاح.

في عيناهُ حكاية عشقٍ أبدية، ترويها شفتاه بأعجوبة حُسينية، يُحيط به العناية الإلهية، تكتبهُ دموع أُمه التي تضطجع و تُلازم سريرها منذ سنتين غير قادرة على الحراك. كانت ضحكاتهُ وكلماته دواءٍ لقلبها الذي أستوطنه المرض، ورؤية قامته الشامخة أمل وقوة لجسدها المُتعب. قلبهُ الذي تربع على عرشه الولاء لعليٍ وأبناءهِ (عليهم السلام)، يصرخ منادياً فتخرجُ كلماته على هيئة طلقات رصاص.!

كاميرتهُ التي لم ترى وجه جدار وبندقيتهِ التي كانت تمتلئ بخزائن الرصاص ثم تتفرغ خلال دقائق، تشتكيان إهماله لهما، فمنذ ثلاثين يوماً لم يلمسهما ولم ينظفهما.

محمد، أو **القائدُ في تأريخ** هكذا كان يُسمي نفسه كان يقول و يُردد دوماً:

_سيأتي يومٌ تبحثون عني وعن ضحكاتي ولن تجدوني.

فعلاً، الجميع يبحثُ عنك وأمك أولهم ، لما ذهبت؟

وكان يكتبُ في صفحتهِ الخاصة جملتين يكررهما:

_ الحرب لمن لا يهابون الموت بل يجارونه بشجاعتهم في ساحات الوغى ومن يهابونه لا يخوضون غمار الحرب بتاتاً.!

_ يا صاحبي كن قائداً في التاريخ.

في **شهر تموز** الحرارة تتجاوز الأربعين، الماء أسخن من الماء المغلي على نار. الكورونا تجتاحُ العراق من شماله إلى جنوبه بل يجتاحُ العالم أكمل، الإصابات تُسجل بالآلاف يومياً ونسبة الشفاء قليلة لا علاج ولا دواء يتجنبه الجميع مُستقرين في بيوتهم للوقاية من الإصابة. الحكومة تفرضُ الغرامة المالية على من يتجاوز إرشادات وزارة الصحة السفر ممنوع، لقد فرضت الحظر الشامل.

هل جميع يشملهُ الحظر؟

لا فهناك مجموعة من الناس تستثنيها الدولة من جميع قرارتها كأنهم لديهم أجسامٌ مُدرعة تتحمل كل شيء، ولا كأنهم من لحمٍ و دم مثل باقي الناس، إنهم القوة العسكرية.

إنها عشرة تموز من العام 2020 يوم الجمعة، ها هم أبناءُ الحشد الشعبي اللواء السادس عشر التركمان في قاطع عمليات ديالى خارجون لتطهير أرض الحروب من الخنازير البشرية التي أحاطت به لغسله من الدماء النجسة، وإروائه بالدم الطاهر، لتنبتُ فيها نبتة الحُب من جديد، وتُزهر فيها ورود الأمل، لتُغرد بلابله المُختبئة في أغصان شجرة البرتقال عند شروق الشمس في كل يومٍ جديد.

في وادي الأحلام ضاعت مفاتيح تحقيقها، وعريس حلم الصبا قد أصاب قلب صاحبته بسهم الفراق. تخلو الدار منه، تنتحبه عصافيرها، تشتكي أشجارها يبست أوراقها في موسم إثمارها، قد تركها ساقيها. بهت لون السماء غيومها البيضاء في عز حرارة الشمس تبدو سوداء، وشمسها الأصفر أصبح رماديٍ داكن، لا طير في السماء ولا هواء عليل ليس هناك سوى حرارة الفراق و أحلام الأمس الوردية وأُمنية وطن.

أردف لصاحبه حين تمكن منه العطش :

_ يا صديقي قد ضاق صدري من العطش.

_تفضل لم يبقى لديه سوى هذا الماء.

_ شكراً لك.

_هنيئاً مريئا

أنه يشربُ دُخان أحلامه التي لم يحققها إلى الآن، ليس عطشٍ إلى الماء بل أنه ظمأنٌ للقاء أحباب روحه الذين ما زالت في قلبه آمالٌ بلقائهم، هل تعلمون من هم أحبابهُ؟

يحدق للشمس أخرج نظارته لتدخل النور داخل عيناه، تسير السيارة في الطرقات البرية الموحشة، المفخخةُ بأعقاب الذكريات... تسير، وتسير، الطريق مليئةٌ بالألغام وبينما هم يقومون بواجبهم انفجرت عليهم عبوة ناسفة جرحى وثلاثة شهداء فاغتسلت أرض ديالى بدمائهم ليبث خبره إلى أمه كالصاعقة لتتكوي من حزنها عليه.

إنها ساعة الحلم يا محمد. فكأن قلبهُ يقول في تلك اللحظة:

_لقد ولدتُ من جديد وحققتُ حلمي الوحيد قد تركتُ دراستي وأكثر ما أحببتُ لأجل هذا اليوم وفعلاً حسناً ما فعلتُ لقد استحق الأمر كل ذلك العناء والتضحية...

فجمع أنفاسهُ لينطق أخر كلماته حيث لخص فيها الحقيقة المُرة، فردد :

_ كل الدروب توقفت الا درب نجف تمشي...

ولكن ما رأي أمك؟ هل ستُقاوم حُزنها و صنع من آلامها إرادة؟ وماذا عن أخيك؟

يردد أخوه :

_لا تكلموني عن الفراق ما لم تذوقوا فقدان الأخ، فأنا قد فارقني أخي دموعي تفضحني أينما توجهتُ أشاروا إليه وقالوا، هذا **"اخ الشهيد"**. الفاقد يفضحه ملامحه!

لما لا يلتئم جروح قلوبهم؟ لقد انقطع الوصال بينهم وبين من يحبون. صمت النسيان ليعذبهم بعقاب الهجران على ذنبٍ لم يقترفونه ولم يفكروا به.!

أقترب العيد ولكن لا عيد لهم فبيتهم العامر أصبحت بجانب قبرك آهٍ لمثلك كم منك في بلادي شهداء...

أيها القائد في التأريخ إن اهلك كانوا ينتظرون عرسك، فلما أفجعتهم بمصيبتك؟

ومرت الأيام حتى أتى مُحرم و ُقيم معرض الشهداء في طريق المواكب من جديد لكن من كان يُرتبها العام الماضي أصبحت صورته تتوسطهم قام أخيه يُرتب مكانه وهو يذرفُ الدمع رافعٍ برأسه إلى الله يدعوا ويشتكي له من الفراق.

أخاه الذي فارقه منذ شهرين يتجددُ جُرحه في قلبه كل يوم كلما رأى صورته في حجرته في هاتفه، وكأن ذلك كل شيء، لا فطيف أخيه لا تفارق مُخيلته كلما غمض عينيه لينام أتاه بالأحلام ليستيقظ وهو يصرخ **"أخي" أخي"** إلى متى ستبقى تُحرقه هذه الكلمة؟ هل سينساها يوماً ويكمل حياته؟ أم ستبقى تُحرقه حتى يرد الثرى؟

فيقضي أيامهُ وهو بهذا الحال حتى أتى وقت ميلاد أخيه الذي يُصادف رأس سنة الميلادية واحد يناير فذهب لزيارة قبره وجهز له مُفاجئة عيد ميلاده وجلس يبكي عند رأسه وهو يخاطبه:

_مُحمد أخي اعتدتُ انتظارك حتى نسيتُ إنك لن ترجع.

أن تُربي ولداً صالحاً يعني أن...
تسندهُ في صغره لتَسند عليهِ في كبرك،
تُقبل رأسه تُربتُ على ظهره،
صديقاً صارقاً تُرشدهُ،
تغفرُ لهُ أحيانا وتعاقبهُ أحياناً أخرى،
ليس من باب المسؤولية أو واجبك الأبوي،
بل من باب الحُب،
ولأنه من قلبك فعليك أن تلفهُ بأضلعك، لتُحافظ على سلامتهِ..

قد طلب فنال

سيد مصطفى قنبر الموسوي

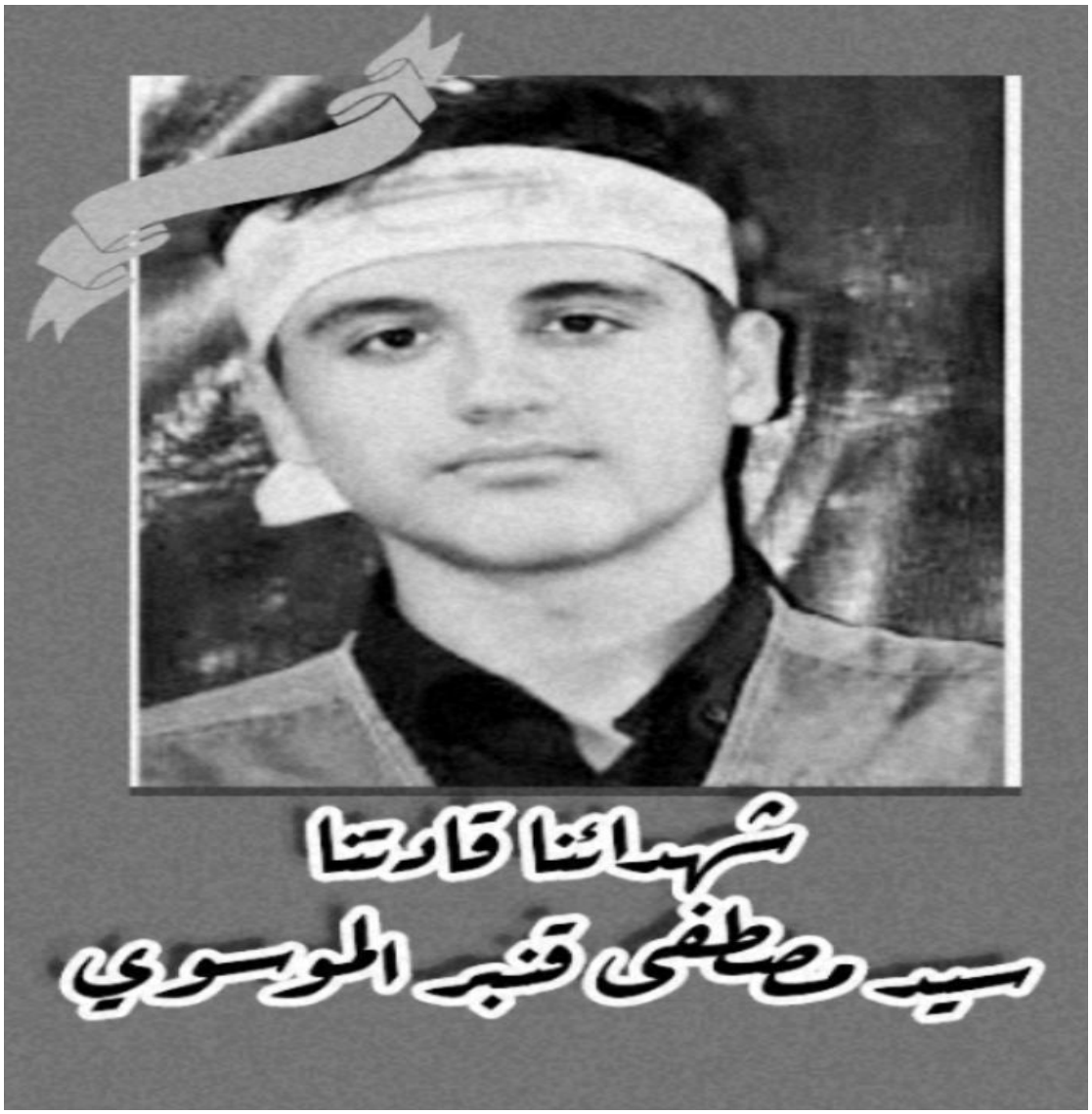

6 أيلول 2020

كركوك / قرب ملعب بشير

يقول كبارنا :

_أنجب ولداً حتى لا تبقى تابوتك على الأرض!

فلا ادري أن كانوا صادقين أم لا، الا أن سؤال الأهم هو، **هل حقاً ودوماً الولد يحمل تابوت أبيه؟!**

فتى الذي يملأه شغفُ التصوير يعشق الزراعة تجذبه الزهور، مليءٌ بالثقة بالله متوكلٌ عليه في كل أمورهِ لطيفٌ كالطفل الرضيع، ابتسامتهُ مشرقةٌ كالشمس وقت الصباح الباكر، طيب القلب، ذكيٌ بارٌ بوالديه، يدرسُ في الإعدادية ..

صفر 1441

قبل ما يقرب أسبوعاً أو يزيد بيومين من يوم الأربعين قام بتجهيز حقيبة ملابسه المُتكونة من قطعتين تحضيراً لذهابه إلى الأربعين صباحاً. خرج لرحلة الأربعين مع أصدقائه تُحركه مشاعرهُ المُتهيجة لأبا عبدالله (عليه السلام)، عيناه تتلألأ من شوقه إليه كمشكاةٍ في زجاجة. بعد الوصول إلى موكبهم في النجف، يبدأ صباحه وقد لبس ملابسهُ سوداء وفي يده أبريق الشاي. وبعد أن يبدأ الزوار بالمسير يخطو خطوته الأولى وهو يذرف دمع، وفي ثانية يلطمُ يقوم بخدمتهم يُقدم لهم شتى انواع المُساعدات التي يستطيعُ مُساعدتهم بها مع اصدقائه الذين يجمعهُ بهم نفس الرغبة **"رغبة الالتحاق بقافلة العشق الحسيني"** حيث يُقدمون خدماتهم لل" المشاية " في خيمتهم بكل إخلاص... فيقوم بتقديم الطعام لهم حيناً وغسل ملابسهم أحياناً أخرى... وحين تقترب موعد الصلاة يضع تُربته على مُصلاه ويقف للصلاة يُصلي بخشوعٍ يفتقدهُ الكثيرون من المصلون الساهون، وبعد أن ينتهي من الصلاة يبدأ دُعائه بفكرٍ شغله الشاغل" أمام زمانه "وكُل وجدانهُ شاخصٌ لباب الرحمة حتى تُحقق مُناه، يسجد لله بعد إكمال دُعائهِ فيردف (**اللهم عجل لوليك الفرج واجعلني من ناصريه يا رب العالمين**)، فهو ينتظرهُ بكُل شوق كالأم التي تنتظر خروج وحيدها من غرفة العمليات .!

ذات يوم الصيب النافع وميض البرق يكاد يخطف الأبصار وصوت الهزيم يكاد يُصم الأسماع، كان واقفاً تحت قُبةٍ ذهبية عالية جميلة يتعلق القلب بجمالها وفي مقابله تماماً كانت هناك قُبةٌ أخرى أيضاً من الذهب الا أن مرقد هذه القُبة مُرممة بالكاشي البنفسجي على عكس

الآخرى التي كلها ذهب، يُغطيهما نقشات إسلامية بكتابات عربية جميلة مكتوبة بخطٍ مُزخرف ، بينهما مساحة مُرممة بالمرمر الأبيض بنقشاتٍ سوداء **"بجانبها أشجار النخيل مع القُبتين كأنها جنة الله في أرضهِ "**...

وقف يُطالع جمالها ويشم الرائحة القادمة منها تُشبه رائحة الورد الا إنها أجمل مختلطٌ برائحة العود، أدار رأسه وسلم من بعيد على صاحب القُبة الأخرى. ثم دخل في الصحن وهو شُبه مُبلل، كان أحد أيام الأربعين قُبيل موعد رجوعه ، دخل إلى المرقد وسط الزحام والناس الذين يتدافعون من أجل الوصول إلى صاحب القبر في وسط القلوب المكتوبة من شوقها والدموع التي تجري من أعينهم كجريان السيل في الوادي، فإذا بدموعهِ أيضاً تتساقط كزخة المطر على وجنتيه.

يُحدث صاحب القُبة بعد السلام عليه في قلبهِ وكأنه يقول :

_يتوسل بك الناس لحاجاتهم أما أنا فأتوسل منك سلاماً فالمحبة التي أحملها لك في قلبي لا أحملهُ لأحدٍ من البشر عداك...

وبعد اكتمال ما يُقارب الأسبوعين من الخدمة المُستمرة يتجهز للرجوع إلى بيتهِ وقد أُرهق من التعب وفي مُهجته جمرةُ ألمٍ مُتقدة من حزنه على أبا عبدالله وما جرت على عائلته في تلك الواقعة فإنه رغم صُغره يحترق من غيرته على الأسيرة الهاشمية...

بعد الوصول لدارهِ يرتاح لأمدٍ قصير ثم يتأهبُ ليواصل مسيرتهُ الدراسية الحافلة بنجاح وتفوق...

بعد مرور ما يُقارب عشرة أشهر وتحديداً **ستة أيلول** خرج برفقة صديقه إلى **الملعب الكائن في منطقة بشير**، والقاتل المُتسلسل تمثل بصورة آلةٍ حربية وتسلل بين الناس متخفياً يترقبُ خروج الفتى حتى يخطفهُ من حصنهِ المنيع ويجعل صاحبة الحصن من حُزنها تنجعف شجرة سعادتها من جذورها . بعد مرور بعض الوقت وبينما هما في الملعب وإذا بقصفٍ صاروخي باغتتهم بصوتهِ كلاسيكي كأنه عزف سيمفونية قديمة...!

وهو في غفلةٍ من مجيئها غير جاهزٍ لاستقبالها ما زال فتىً مُقتبل أحلامهِ التي حددها ولم يُشرع بتحقيقها بعد. فهو لم يشبع من حضن والدته ولم يُحقق حُلمها برؤية تخرجه وزفته، أطلقته على الملعب جماعةٌ ينتمون لداعش فأصابته وجعلت حياته على المحك، فبدأ بالنزيف أحمرت الأرض على جانبيه تُغطيها دمائه الطاهرة فاسعفوه إلى المُستشفى ..

فكان كالفاقد وعيهُ ينظر بالوجوه بغير وعي وقد زاد وهيج عيناه ولو استنطقتا تلك اللحظة لقالتا:

_أني لا أرى منكم أحداً كُل ما أراه هو البياض لا أشعر الا بسعادةٍ قد غمرتني، وكأنني لم أجرح وكأنني لم أنزف، الا أنني أتمنى منكم السكوت فأصواتكم العالية تُزعجني، أريدُ أن أنام براحةٍ لكنكم تحرمونني منها بسبب صُراخكم قد زدتم في الجلبة، لا تلمسوا جسدي، لا تهزوني فأنكم كلما اقتربتم مني أقشعر بدني وتألم فلا تؤدوني....

في تلك الاثناء أي (وقت القصف الصاروخي) كان والدهُ **سيد قنبر** مُعتمد المرجعية في المنطقة يُلقي بمُحاضرته حول موضوع **(الصدمة الأولى).**

فأتاه رجل وأردف له :

_سيد قنبر لقد تم قصف القرية بالصواريخ.

لكنه رغم الخبر بقي يُلقي بمُحاضرته للناس وكأنهم غير مُهتمين للوضع، وكأنما الأسماع قد تعودت على سماع هذه الأخبار وتقبلتهُ العقول إلا أن القلوب تأبها وتأبى الإحساس بها وكأن عصب الشعور قد تجمد في شرايينها فما عادت تعي الشجن لأنها قد أصبحت مراجعتها الوحيدة لعيادة أيامه الدؤوب، والضيف ثقيل الدم الذي يأبى مغادرتهم...

وإذا بالرجل يُردد عليه الحديث :

_سيدنا المُصاب هو ولدك السيد مصطفى.!

دقيقة، من المُصاب؟ ولده!

ما الأصعب من هذا الموقف؟!

ما الأبكى من أن يأتيك أحدهم ويقول لك :

_ولدك مُصابٌ بين الحياة والموت؟

ماذا لو قالها لك أحدهم؟ ما ردة فعلك؟ هل تتحمل؟!

وإذا به كما يقول :

_ أكملتُ المُحاضرة والدُعاءُ وكأنني بلا قلب.!

نعم وكأنه بلا قلب لا يشعر بألم هذا ما أعربهُ قد تعلم الصبر منذ صغره، ولكن خفايا أعماق قلبه تُفشيه ملامحهُ، عيناه اللتان زينتهما دموعه سراً دون أن يُلاحظه من حوله. يرى الناس وكأنه لا يراهم، يشغل ولده فكره حتى خلاياهُ تتوق إلى فلذة كبده النائم براحةٍ تامة وكأنه في مهده وكأنه في حجر أمه على سرير **المُستشفى في تازة.** أسرع في الوصول إلى المُستشفى وما أن دخلها وإذا بأصوات بُكاء أصدقاء مصطفى تتعالى وتتعالى معها شجونهم تذوي صداها في أرجاء المُستشفى الصغير، أدرك والدهُ حينها أن نجلهُ قد فارق الحياة لم يستطع توديع ولده، لم يصل إليه تأخر عنه رغم إسراعه، ماذا لو أنه وصل قبل دقائقٍ معدودات؟ علهُ كان يستطيع سماع دقات قلبه الأخيرة، علهُ كان سيسمع آخر وصاياه، علهُ وعله والمزيد من العلة ولا مهرب من هذه العلل. هكذا هي الحياة نهايةُ كل من فيها هو الموت ذاك العدو الذي لا يُفارق كائنًا حي إلا ويختاله في غفلته وأحياناً في استعداده والكائنات بين من يهواه وبين من ينفرُ منه، لما ينفر الناس منهُ وهو من أحق الحقائق؟!

قد وقبت شمس مصطفى وحل الظلام حول دار أهله رغم سطوع القمر ووصول ضوئه إلى كل مكان، والوقت تمشي بسُرعة كُلٍ مُنشغلٌ عنها بجروحه لا يُدير بالهُ عليها، وأُمهِ التي قد تجمعت هُموم الدنيا في صدرها لا يمكن لشيءٍ أن يُجاري دموعها لم تخرج من صدمتها بعد..

آنت لحظة الوداع و طيور الهجران قد بدأت بتحليق وحانت موعد الرحيل، استشهد شاب الصغير ليُذكر مدى الأيام، سيد مصطفى أستشهد صغيراً لم يُكمل دراستهُ قد فارق الحياة دون اكتمال بدره وهو هلال أول اسبوع. ولأنه كان ممن يقرأون القرآن ويتدبرون آياته، يؤمنون بما أُنزل على رسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، يفقهون الحديث، فعل الله قد رزقه هذه الدرجة حينما رأى منه الإيمان والتمس اليقين في قلبه فأحبه فرفعه إليه، بل عله كان يدعوا الله في سره أن يرزقهُ **"الشهادة"** فأستجاب الله لدُعائهِ.

فوقف والدهُ يخطب بالناس :

_ إن قُتلنا فنحن على طريق الحسين والحسين أبى أن يقبل الضيم ونحن لا نقبل الضيم، فالسيد مصطفى فداءٌ لهذا الدين فداءٌ لهذه المُقدسات. كانت أملي الشهادة لكن الله رزقه لولدي، فلا بُد من التضحية ولا بُد في المزيد من الدماء لأجل أن يستمر هذا الموكب ولن نتراجع أبداً...

وبعد خطابهِ البليغ سكت للحظات وجر نفسهُ بخفة فإذا به يقول وعيناه قد رقرقتا بنبرة قائدٍ شُجاع استشهد أحد جنوده المُقربين منه :

_أسئلُ الله أن يتقبل منا هذا القُربان.

فكأنما قلبهُ كان كقلب السيدة زينب (عليها السلام) يوم عاشوراء حين وقفت على الحسين (عليه السلام) وأردفت :

_اللهم تقبل منا هذا القُربان..

نعم ،قُربان بل قُربانين بل قرابين قد تم فداءهم لأجل هذا الدين قرابينٌ قد روت بدمائها ورود بساتين هذا الوطن حتى تفتحت حمراء بلون الدماء رحلوا عندما كان مُحبيهم واثقين ومُتيقنين من بقاءهم.!

هكذا هم شُهداء يُفاجئونكم برحيلهم فجأةً..

أتعلمون متى سيرحلون؟

عندما تكونون مكسوري الجناح بعز الحاجة إلى احضانهم، حين تُغرد البلابل قبل شروق شمس الأمان، حينما تبحثون عنهم ولا تجدونهم حين تنتظرون منهم رسالةً أو تتصلون بهم ولا يردون عليكم، أعلموا حينها أنهم قد سافروا إلى الأبدية سافروا دون عودة. لذا لا تثقوا ببقائهم فإنهم كغيوم الشتاء يُغادرون ما أن يلمحوا اصفرار بساتين الحنطة، فلا تتأملوا رجوعهم، نعم، ترجع الغيوم مع كل شتاء لكنهم لا يرجعون! هكذا هم شُهداء يرحلون بقلوبٍ سليمة فأنهم يكرهون دار الفناء ويحلمون بدار البقاء، كمصطفى خرج للملعب ورجع شهيداً، غادر المنزل على رجليه وعاد مُحملاً بالتابوت عاد ليذهب ولا يرجع حتى يأذن الله له. فإنه **قد طلب فنال.**

هو قد ربح لم يخسر ولكن ماذا عن والده الذي كلما اضطجع ليرتاح في هُنيهة تأمل بالحياة حس أن كل شيءٍ من حوله يسير نحو الزوال، وفي لحظة تأمل تلك تُلفته صورةٌ مُعلقة على الجدار ذات مكانةٍ خاصة في قلبه ، فتسحره ملامحها تأخذه من ذاته للحظة التقاطها، فتمر في خاطره كلقطات فيديو مُسرعة من الذكريات ما بين سعيدةٍ وحزينة يتوسطها صوت ضحكة شخصٍ يأتي إلى باله بنات الشرود فيُخرجه من بينها ويطير به إلى عالمه الخاص وكأنه يحمله على جناحيه المفرودتان اللتان تُشبهان جناحي الحمام المُتلونة بدرجات الأبيض الهادئة، تُسافر به إلى الومضات التي تعنيه في خاطرته الأيام التي قضاها معه، حين ضحك وبكى ولعب وأكل بقُربه، ذاك الشخص ولده الشهيد، فينشغل بذكرياته معه يتحدث إليه في خياله وكأنه مضطجعٌ

ورأسه على رُكبتي ولدهِ يُربت على كتفهِ ويلعب بشعرهِ حتى يغفو، ثم يُكمل أحاديثه معه في عالم الرؤيا، ولا يصحو من رُقاده إلا وقد اترعت عيناه الدموع...تاه في ذكرياته معه، وكأنه لم يخرج بعد من صدمته إلا أنه يأبى الاعتراف بذلك حتى لنفسهِ..

فهو مثل باقي الأباء كان يظن أن ولدهُ سيحمل تابوته الا أن حمل تابوت ولده كانت من نصيبه هو فقد رزقهُ الله رزقاً مُباركاً إذ جعل منهُ **"أبا شهيد"** فلله درهُ بمكانة ولده قد ربى ولداً صالحاً كما ساعد في إنشاء جيلٍ صالح في مُجتمعه، فربما كانت مكانة أن يكون أبا شهيد أجراً على أعمالهِ الصالحة ...

الجميعُ يبحثُ عن صفات الإنسان الأسمى،
والجميعُ يسعى إلى مِثاليّة،
ولا يدركون إن أسمى الخصال والمِثاليّة من نصيب
الشهيد فقط...

نضالُ مهاجرٍ عسكري

أبو مصطفى البشيري

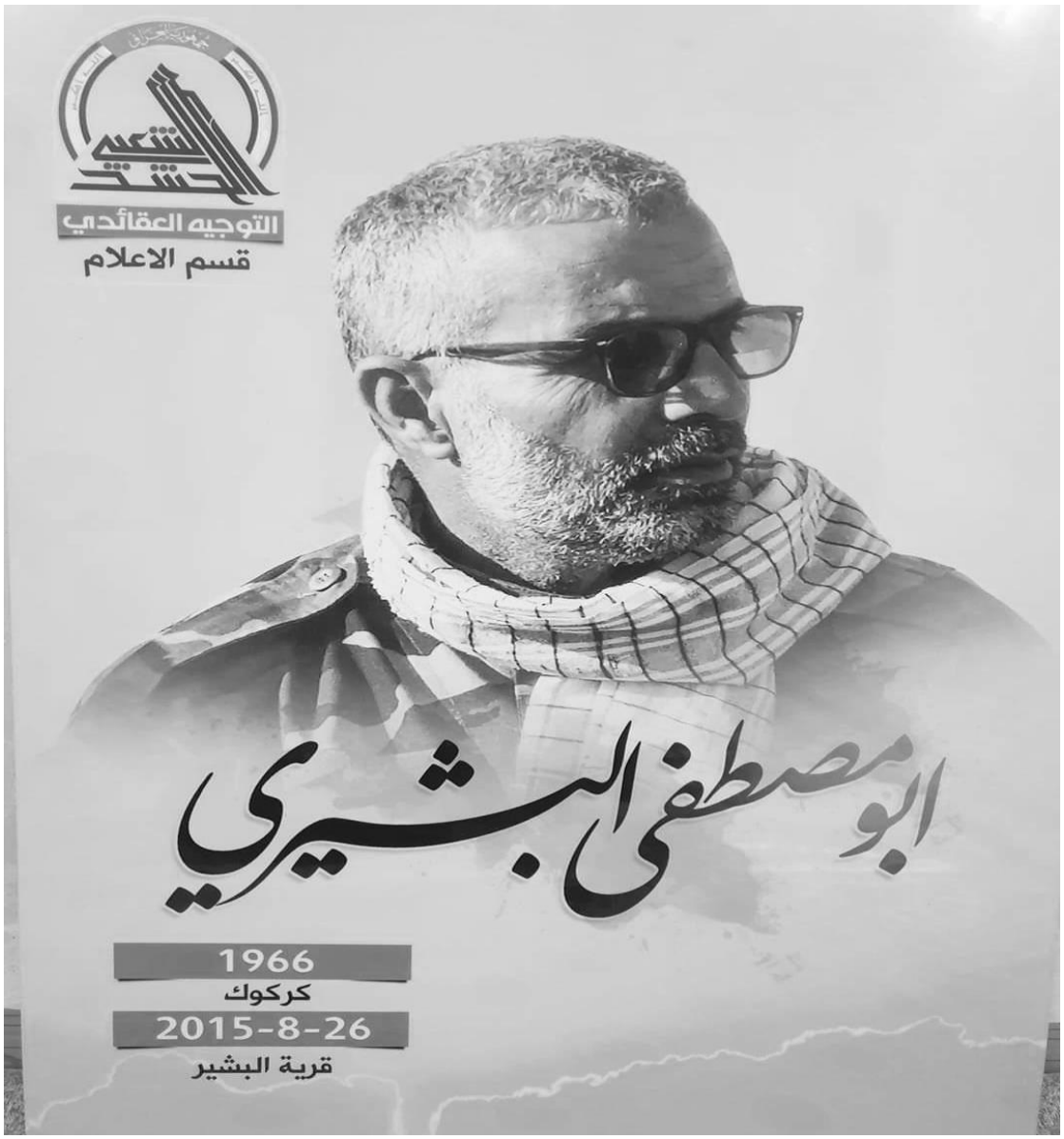

25 اوغسطس 2015

كركوك / ساتر بشير

غرق في بحر أحزانه أتخذ من مكتبهِ في ساتر داراً له راح يعيشُ فيها، طاولته، وكوب شايه وحُزنهِ وقلمهِ والصور المخبئة في محفظته يفتحها ويُطالعها كلما غزاه الحنين إلى أهلهِ الذين في غير هذه الأرض وعله غير وطن.

أبو مصطفى" الرجل الفولاذي" هكذا أُسميه، له قلبٌ من حديد، يُزين ملامحه الشيب، وشعره الأبيض، ونظارته السوداء التي لا تفارقه، بسبب ضعف بصره، فقلبهُ يحوي من الألم ما يجعلهُ لا يشعر بأيٍ من الآلام الجسدية ، وعقلهُ فيه من الشتات ما قد يُصيبه بالجنون من تفكير المُستمر ، عنيدٌ مُقاوم، جسورٌ كالقسورة، مُقاتلٌ نبيل، مُجاهدٌ هدفهُ الوحيد نُصرة بلادهِ حتى لو كانت الثمن دمائه، رجلاً قادهُ ظُلم حاكم بلادهِ من كثرة طُغيانه عليه إلى الهجرة خارج وطنه، بدمعتهِ ودع العراق مُهاجراً من أرضه الأُم.

بعد سنواتٍ مريرة من الجهاد، عاد إلى أحضان وطنه، لكنه ما عاد ليتنعم برفاهيتها، ليحط عنه أتعاب هجرتهِ ليعيش سنواتهُ الأخيرة بأمان كعربون شُكرٍ على جهوده التي دفع لأجلها أجمل أيام حياتهِ، ريعان شبابهِ، حتى خرت قواه ومرت عقوده حتى دخل في عقود الشيب.

بل عاد ليُقاتل داعش ليُدافع عن أرضهِ ، ليُحارب من جديد. ليكتوي بنيران العشقِ لأرضه التي تأبى أن تحضنه ليلةً لينام براحتهِ، بل كُلما أراد أن يُغمض عيناه صبت عليه لجام غضبها واحرقتهُ بنيران جحيمها. فالتحق بالمجاهدين، ليُكمل مسيرة جهادهِ الطويلة. يبدو أن الحياة لن تنصفهُ أبداً، إنه نضال عاشق.

يقول صاحبهُ مُجاهد ناصر، ذات مرة دخلتُ عليه فسألني:

_ما بك؟

_أبو مصطفى أن ما بي هو ما أراه على وجهك من الحُزن على عائلتك .

_ماذا تقول يا ناصر؟! أن عائلتي كُلهم فداءٌ لـلـسيدة زينب (عليها السلام).

أجاب صاحبه وكأنه غير مُهتم لا يُريد أن يُحزنه الا أنه لو ترك المكابرة على جروحه لغرس رأسه في حضنه ووضع رأسهُ على كتفي صديقه وألم بالبُكاء..

إنه حقاً من أصحاب الحسين (عليه السلام) صبورٌ مثلهم ، حين وقعت بشير "عروسة

التركمان" أسيرةً لأعدائها المُحتلين الذين كانوا ينهشونها كما تنهش الذئاب ضحاياها، وقعت بعض العوائل بأيديهم، ومن ضمن تلك العوائل عائلة أبو مصطفى.

في لحظة النزاع مع الحياة، ومُحاولة محمد أمين ابن أبو مصطفى إخراج عائلته الكريمة، من بشير يملأه الغيرة بعمره الصغير سائقاً بالسيارة نحو تازة، ليُنقد عائلتهُ من يد هؤلاء الجبناء الذين هزموا الشجاعة بغدرهم وطغيانهم إنهم ذبان الأرض الفاسدة التي تتغدى على دماء الشهداء، هناك قد وقع الفأس، وقامت داعش بأسر عائلة أبو مصطفى، فقاموا بتقيدهم، ابنته الكبيرة التي اكتسبت من الشجاعة ما اجهرت به عليهم فبدأت تلعنهم وتسبهم، لم تخف لحاهم الطويلة وبنادقهم المصوبة نحوهم، واجسادهم التي تفوح منها رائحة الجحيم، فقاموا بقتلها هي واختها، فراحت ابنتاه البطلتان شهيدتان لتروي بدماء الطاهرة التي تجري فيها عشق الحسين (عليه السلام) أرض عروسة التركمان...

قد اثبتتا أن هؤلاء لا يفرقون بين أحدٍ، فكانتا من الأمثلة السامية على قوة المرأة العراقية، قد واجهتا الموت بكُل شجاعة لم تتراجعا عن موقفهما فكانتا كسيدتهما زينب (عليها السلام) حين وقفت أمام يزيد بكل صلابة وحزم، وهما وقفتا أمام ذُرية يزيد وتمسكتا بالمبادئ التي رباهما والدهما عليها، فأصبحتا فخراً لهُ ولبشير وتازة وجميع التركمان بل فخراً للعراق بأكمله ومثالاً يُقتدى بشجاعتهما وسيتناقل قصتهما عبر الأجيال...

وهناك في جهة الأخرى كان والدهم كالأسد الجريح يُقاتل دون كلل، ليأخذ بثأره غير آبهٍ للجروح التي تُغطي أسوار قلبه، غير آبهٍ للدموع التي تملأ عينيه، والجوى التي تُزين ملامحهُ، ما سر خلف ذلك؟

سر تلك القوة التي يكتسبها من حُبه لعلي أبن طالب (عليه السلام)، وتلك الدروس التي لقنته إياه الحياة في ساحات الوغى وميادين الشرف. أبو مصطفى مسؤول استخبارات محور الشمال، الذي كان يعتقد أن عائلتهُ سالمة وهو يقُاتل في الجبهة، يراه الجميع قوياً، لكن هذا ما يظهره، فهل يعلمُ أحدٌ عما بداخله؟

بعد تلك الحادثة قام الحشد التركماني بصُنع ثورة لتحرير النساء، وابو مصطفى، مثل الطفل الذي يترقب قدوم أمه. فهو لم يكن يعرف بعد عن أخبار عائلته ، بشتات دهنه، وقوته الذي أضعفته مُصابه، علم بأن ابنتيه قُتلتا وزوجته وأولاده ما زالوا أسرى، أي رجلٍ مكانه، ماذا كان سيصنع؟ لا أعلم، ما كان سيصنع.

ذهب الرجل ليُكمل مهامه العسكرية يُقاتل كالأبطال، وفي عيناه يختبئُ سره دفين، وفي قلبه جرحٌ دائم النزيف، وفي بلادهِ رجالاً أمثالهُ يأبون بيع الضمائر، يشرون اوطانهم بدمائهم. ظل **ابو مصطفى** يقاتل، لا يكل، لا يتراجع، لا يُثنيه شيء، يقولون **"خف من رجلٍ ليس لديه شيءٌ ليخسره"**. حتى أُصيب بجروحٍ بليغة تم نقله إلى ايران على أثرها لتلقي العلاج هناك.

بعد العلاج الطويل مُثل للشفاء عاد إلى الساتر الأول لمواصلة قتال داعش فكان يُقاتل مُخفياً ما يدور في خلجات نفسه هارباً لباب الكبرياء، مُتنقلاً بين صفحات حياته أياماً من الجهاد الطويل آنٍ مع نفسه وآناً مع الإرهابيين، يُجاهد نفسه لكي لا يضعف أمام مصائبه، لينجح في امتحان الصبر، ومع أعداءه ليأخذ بثأره. فراح يُدافع ويُهاجم ويُقاتل ببسالة، لا يزلُ له قدم، ولا يرف له جفن، حتى لا يلومه في الشجاعة لائم، بطلٌ ضرغام. صقر الاستخبارات قائد فوج كيان الفارسي.

قامت داعش بتعرض لسواتر الحشد في أطراف بشير محاولةً حرق زمكى طائر الحرية، ثم حرقهِ بالكامل، فبينما تمر النيران بمُحاذاته جذبها رائحتهُ فأصابته بدون قصدٍ منها لتستقر داخله لأنها قد وجدتهُ مُحباً لها فكأنما مادتها قد تعجنت لتتطابق مع حامضه النووي لتكون نزيف دمائهُ التي لطخت بدلته العسكرية شاهدةً على حبهما. فوقع على الأرض وهو ينظر لدخان الذي يتصاعد في الساتر وهو يلفظ أنفاسه الاخيرة. لتكون آخر لحظات **أبو مصطفى** في الحياة نائماً على أرضهِ ويدهُ على أعمق جروحه ليطوي صفحات أيامه بالشهادة التي كان يسعى إليها على الدوام..

وبعد استشهاده قامت تلك المجاميع، مُرتزقة المُجتمع الأعمى بتفجير بيت ابو مصطفى. كم كان هذا القائد عظيمً حتى كرهوه هكذا وظلوا أعداءً له حتى بعد وفاتهِ. حياته التي بدايتها كانت عبارة عن سجن ابو غريب المظلم الذي حوى العشرات بل المئات وأكثر من الأبرياء الذين ما كان لهم ذنبٌ سوى أنهم عشقوا أرضهم، هذه الأرض التي من أحبها قضى شهيداً، لم يرى من حياته سوى الأحزان مُتنقلاً بين جروح ماضيه، وحُزن حاضره ومُستقبله الدامي . وعدوه الذي يموت ليذهب الى مزبلة التاريخ. يا لها من قصة غريبة، أنه كالانفصام بالشخصية، مُحبه وعدوه إلى ثرى. لما يا تُرى هكذا هي هذه الأرض؟!، إنها تعشقُ الدماء.

قصة هذا المهاجر العسكري قصة وفاء لأمجاده وتأريخ اجداده، هي المثال **"حينما يجنُ عاشق الحسين"**، يتناسى كل شيء ويصبح هدفه الوحيد **"الشهادة"** فيُقاتل حتى يستشهد بعد أن يأخذ ثأره.

_أيها القائد الذي لن ينساه أحد ستبقى حياً في ذاكرة التأريخ.

قد شرفت صفحاتهِ بكفاحك الدؤوب. أيها المُناضل سلاماً عليك في كل حين، في الليل حتى يبان خيط الفجر، وفي النهار حتى ينجلي الشمس ويختفي من الأفق، يا آفاق الصبر وحُمرة سماء الكرامة، لله درك من رجلٍ لعمري ما لك في تأريخ النضال أحداً يعرفك فيُنكر شجاعتك.

فسلاما عليك يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تُحشر حياً.

إن لوقع كلمة الشهيد في النفس أثرٌ
كبير،
وشعورًا لا يمكنُ تشبيهيهُ بأي شعور..
فالشهيد هو ذلك الإنسان العظيم الذي
قد تحلى بالشجاعة الكافية حتى
يتخلى عن الحياة،
ويترك زينتها وزُخرفها ليلتحق بقافلة
الصالحين..

لـيتجسد جروحها

أحمد حموش

20 أكتوبر 2017

كركوك / أطراف بشير

في مجلس عزاء أحد الشُهداء أتت مجموعة من صديقات اخت الشهيد ، من بين تلك الفتيات كانت هناك فتاة تلبس السواد ولكن ليس بسبب حضورها مجلس عزاءٍ للشهيد بل لأن أخيها...

صارت تواسي صديقتها وهي تقول لها **"أبكي سترتاحين فقد الأخ صعبٌ أسئليني أنا".** كانت تتحدث وهي تشهق الحسرة والدموع تجري من مقلتيها تجر نفسها بين كل كلمتين تحدث بقصتها لتخفف عن صديقتها.

أحمد رجلٌ ثلاثيني العمر جسورٌ ومقدام لا يهابُ الموت يسير معه جنباً إلى جنب. له عائلة جميلة وكبيرة إخوان واخوات وزوجته الحامل وبناته الثلاثة. عندما تتكلم القلوب مجروحة لا تجدُ ما تتكلم عنه ليس لقلة المواضيع بل لكثرة الحزن فيها حيث الأفكار مشتتة والدرب حزين. لا شيء يُبشر بالخير عاصفة مجنونة تعصف بـناحية تازة تحرقُ الأخضر واليابس ولا تبقي للبقية باقية. بعد الظهر ارتفعت أصواتٍ عالية قريبة أفزعت ساكني المنطقة ، هرعت إلى أمها تتصبب عرقاً ترتعد اناملها، نظرت إلى عيني أُمها، شعرت بالضعف وإنها لا حول ولا قوة لها. لم تسمع هكذا أصوات من قبل. داعش قامت بقصف المنطقة فأمر القادة بإخراج العوائل ليبقى فقط الرجال فبقاء النساء والأطفال جرعة خوفٍ إضافية على كاهل الرجال في عز هذه الغوغاء والفتن...

ربط الناس أرواحهم بأجسادهم كحالها بسلسالٍ من الرصاص كي لا تخرج من مكانها، من هول ما رأت، ابتعدوا عن دورهم، تركوا رجالهم خلف ظهورهم. كانوا في حالةٍ يرثى لها، كالجُندي الذي يسلبونه سلاحهُ ودرعه وبدلتهُ الحربية ويسرحونه على الحدود الذي أفنى ثلاثين سنةٍ من حياته في حمايته. شاحبي الوجه وجوههم من آثار الدموع تبدو وكأنهم مضروبين لكمات. يقودون بسياراتهم على الشوارع المليئة بالمدرعات والهامرات، تهتزُ الأرض من كثرة ضربات التي تتلقاها صدرها من قذائف الهاون والعيارات النارية. هي التي لم تحمل بُندقية من قبل، لقد حفظت أسماء الآلات الحربية جميعها...

حدثٌ عابر لم يكن في الحسبان، قلب حياتهم رأساً على عقب، ضيعهم وضيع عنوانهم، فهذه الأرض ليست كأرضهم ، ولا تلك الطيور تمد لهم بصلة الماء هنا شبه مالح وماءهم عذبٌ زلال، وأرضه كصحراءٍ قاحلة، وأرضهم خضراء شاسعة، هنالك حيث الأحباء أنهم دونهم أمواتٌ ولكنهم يتحركون، أنهم مجرد احياءٌ بالنفس...

كانت ترى الموت يطرق بابهم كلما قرروا الرجوع، والفراق يلتصقُ بأقدارهم كلما حانت موعد لقاء...

كانت قوات الحشد الشعبي اللواء سادس عشر لواء التركمان، ولواء أبو فضل العباس، والألوية القادمة من الجنوب تحيط بالمنطقة. **أحمد** كان يعمل في الخط الأول لبناء السواتر والخنادق المحيطة بالناحية. فكان يتأخر بالرجوع للبيت ويُبكر بالخروج يقوم بنقل التراب. يعملُ في الحشد رجلٍ قد وضع قلبه على يديه لا يهيبه شيء لا يتراجع.

في أحد المرات تأخر كثيراً، أُمه كانت خائفةً عليه عندما أتى قالت له:

_ولدي أنني أهابُ عليك الأعداء كفاك كل هذا ففؤادي لا يتحمل فراقك...

ولكنه وكأنه لا يسمع نجوى أمه. عنيد يأبى الا أن يكمل ما بدأه. فراح يعمل ويعمل لا يمل ولا يكل. ومرت الايام حانت لحظة اللقاء بعد شهرٍ من ضربات الشوق المبرحة على القلوب التي تحولت إلى موسم الخريف رجعت العوائل ومن بينهم عائلة هذه الفتاة. في نهاية يوم عمل طويل، بعد أن اجتمعوا إلى المائدة عشاءاً قال أخيها لأخوتها البقية في جملة حديثه:

_لا تتركوا هذا المنهج أبداً..

يقال: **"الرجولة ليست في الأقوال بل بالأفعال، فكم من جبان ولا أحسن منه في الخطب، وكم من شجاع صامت لا ينطق بل يفعل"**.

وهكذا أحمد كان كثير العمل قليل الحديث.

ربما كان في هذا رسالة حُاول إيصالها لعائلته حينها الا إنهم لم ينتبهوا لرسالته الخفية. داوم أحمد على العمل الدؤوب، فقد كان يعمل ليلاً ونهاراً. ولكن لا يُظهر تعبه لأحد ويُخفي جروحه التي يعشيها في قلبه دون أن يتكلم عنها لأحد. كالأسد الجريح لا يُظهر ضُعفه. أما أختهُ فقد كانت خائفة خوفها عليه كخوف الخروف من سكينة القصاب.

قد أصابها الأرق، لم تكن قادرة على النوم، لم تكن تأكل جيداً كانت تقضي الأيام وفكرها منشغلٌ به، في تلك الفترة كنت أراها كل يوم فهي كانت تداوم معنا في المدرسة لقد كانت مُغطاةٍ بالسواد قل ما رأيناها تضحك حتى إلى هذه الوقت قبل مُدة رأيتها في جامعة كانت كما تركتها آخر مرة.

مضت الأيام بهذا الحال بين الخوف والشتات، في جانب الدهر لا يرحم فالإرهاب والموت يحيطان بالكل من كُل جانب كُل يوم شهداءٍ جديدون وصواريخ أكثر، يومٍ أسوء من سابقه. وفي جانب شباب الذين في السواتر كأنهم في متاهة.

ذات اليوم قالت في نفسها **"أن هذا اليوم مشؤوم"**. تتباطأ ساعاتهُ ذهب جزؤه الأول.

سمعنا صوت صاروخٍ قالوا، "***لقد وقع الصاروخ على سيارة أحد الأشخاص في أطراف بشير وهو يقوم بعمله فحرقت نصفه*** **بكامله** ".

تقول اخته لصديقتها :

_احمدي الله أن اخيكِ ليس لديهِ أطفال فبنات أخي كلما حدقن بي سألنني "عمتي أين والدنا؟"

ذلك اليوم حين استشهد أخيها، كادت الدماء تتصلب في شرايينها، في زحمة العلوج أمام دارهم، أمها تجلسُ في زاوية الدار تلمع الدموع في مقلتيها بمسيلهِ كقطرات الندى على أوراق الورود. زوجة أخيها تنتحب بلهفة تُحرق الدموع وجنتيها، تُغمض جفنها ثم تعود لتفتحه فيتساقط منه الدمع كما تسقط المطر برقة على ورقة شجرة الهيبيرون..

وقفت، ورفعت عينيها إلى سماء بدأ خفقان قلبها يزداد وكأنه يريد الخروج من مكانه، بعد فترة قصيرة طويلة لا تدري فلم تكن بحالة لتنتبه إلى الوقت. قالت في ذلك " لست أدري، ففقدان أخي قد افقدني رُشدي ".

نعم وهل يُرتجى التركيز ممن قلبهُ يبكي؟! هل تعلمون معنى فقدان الأخ؟

هل تعلمون ماذا يعني أن تُمارس الحياة وأنت منقطعٌ منها في داخلك؟

اخيها الذي لم يتزلزل أفكارهُ ظل ثابتاً على موقفه وكأنه كان يعلم بنهايته، وكان يرسم خططهِ على هذا الأساس، لقد كان جاهزاً للموت إلى غاية درجة كمن أخبره العراف بساعة موته فراح يعيشُ كل لحظةٍ من يومهِ على أنها اللحظة الأخيرة...

تعالت الأصوات أكثر أمام دارهم لأشخاصٍ يحملون تابوتاً ويهتفون. **"لا اله الا الله الشهيد حبيب الله".!**

ما مصدر هذه الأصوات؟ من شهيد التابوت المحمول على الأكتاف الكئيبة من الحُزن؟

لقد أتوا بجثمان اخيها حانت موعد الفراق والوداع. لتتجهز للعزاء لقد التحق أخيها بقافلة العشقِ والشهداء سيصبح وهو عند سيد الشهداء. استشهد هو وبقي لها جرحه، كُسرت خاطرها

ولا يمكن جبرها فجبر الخواطر أمرٌ صعب فبعض القلوب المكسورة لا تُجبر كسورها بسرعة، أنها كالمرآة اذا كُسرت لا تتصلح، لقد كانت في أسوء زجلة.

"إني لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما ".

بـكلمات الإمام الحسين (عليه السالم) هذه التي تنطبق على أخيها، صنع أخيها قدره. أُستنجد ليصنع سفينة ساتر الوفاء فصنع سفينتهُ من اخشاب الشجاعة ولون اخشابها بألوانٍ ضد رطوبة الضعف حمل إلى سفينته أشجار الإيثار وروى أشجاره بماء القيم، وحمل معه اصداف الحب التي جمعها من شاطئ العائلة والوطن.. شهيدٌ صافح شهيدٌ عندما قابل ابو مهدي المهندس قصتهما متشابهتان فقد ماتا بنفس طريقة وقع عليهما صاروخٍ فحرقهما وكلاهما ترك بعده الألم لله درهما من بطلين...

تقول كلما باغتها ذكرى رحيله :

_أمسكُ صورة أخي أنظر إلى ملامحه واذرف الدمع حين أتذكر أنه رحل دون إياب.

لم تنسى أخيها إلى الآن إنها تبكي كلما تذكرته، ثيابها سوداء منسجمٌ مع لون عباءتها.

قلبها لم يعد يتحمل كل ذلك الألم. نعم لقد فقدت أغلب من احبتهم ليتجسد جروحها في دموعها التي لا تفارقها، في دفتر ذكرياتها المليئة بعبارات حنينها وآهاتها التي لا يعرفها غير الله ودفترها. في خلفية شاشة هاتفها ولطمية "ليت المسافر يعود" التي تسمعه غالباً. في وجوه أطفاله، في العلم فوق مزاره. تتمنى عودته ولكن هيهات الذاهب لا يعود.

في ذلك اليوم عندما أرادت أن تغادر العزاء ودعت صديقتها ." **أخت الشهيد تواسي أخت الشهيد يا لها من معضلة"!** . قائلةً وهي تذرف الدمع عيونها البنية تلمع:

_يا صديقة دربي يا شريكة احزاني إننا لم نتشارك المحبة فقط بل شاركنا نفس المصير حزننا واحد أنا وأنتِ رفيقات درب الفراق. يا أخت الشهيد.

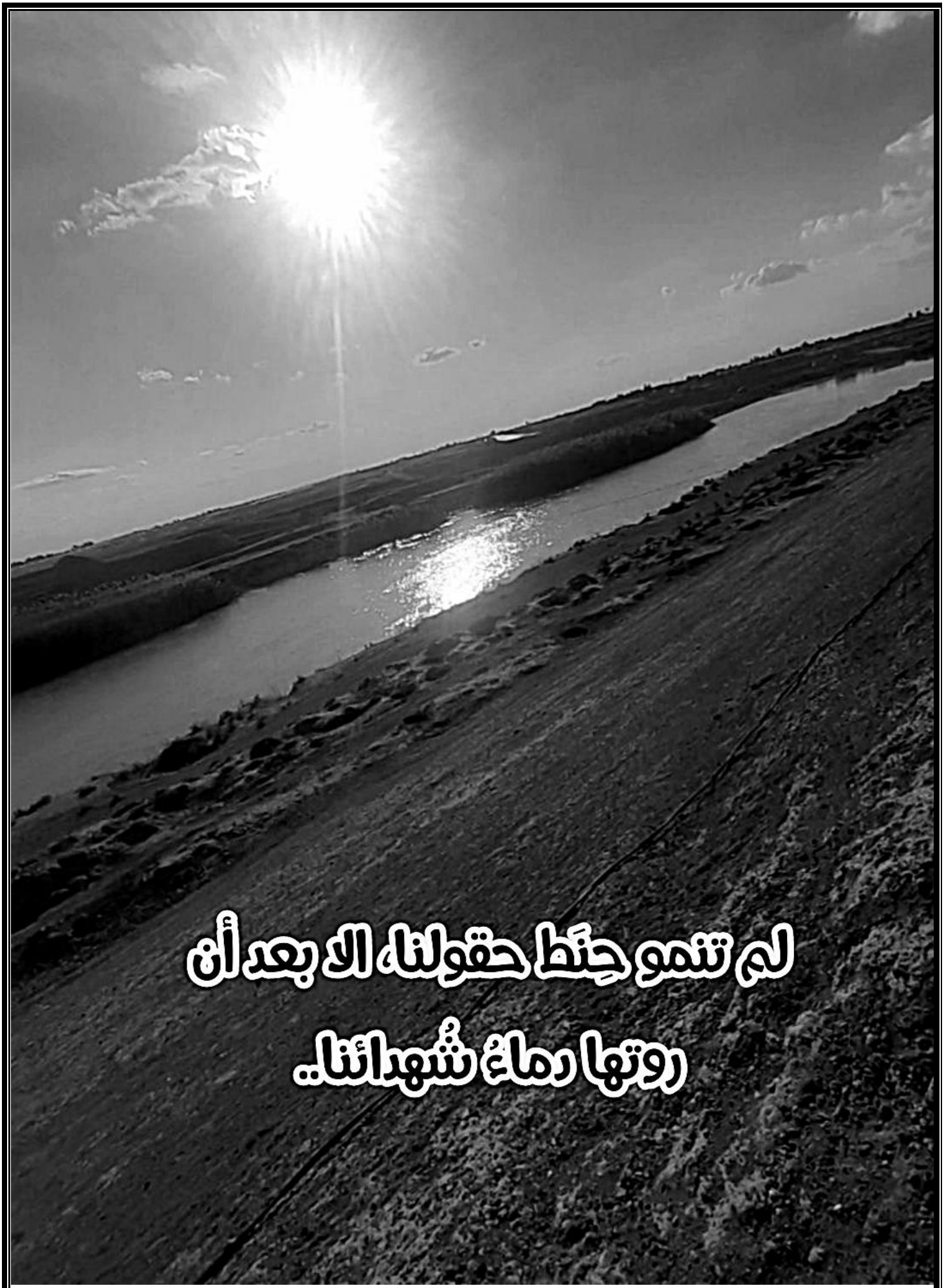

لم تنمو حِنَط حقولنا، الا بعد أن
روتها دماءُ شُهدائنا..

زهرتها كالرميم

أشرف حسن الجليلي

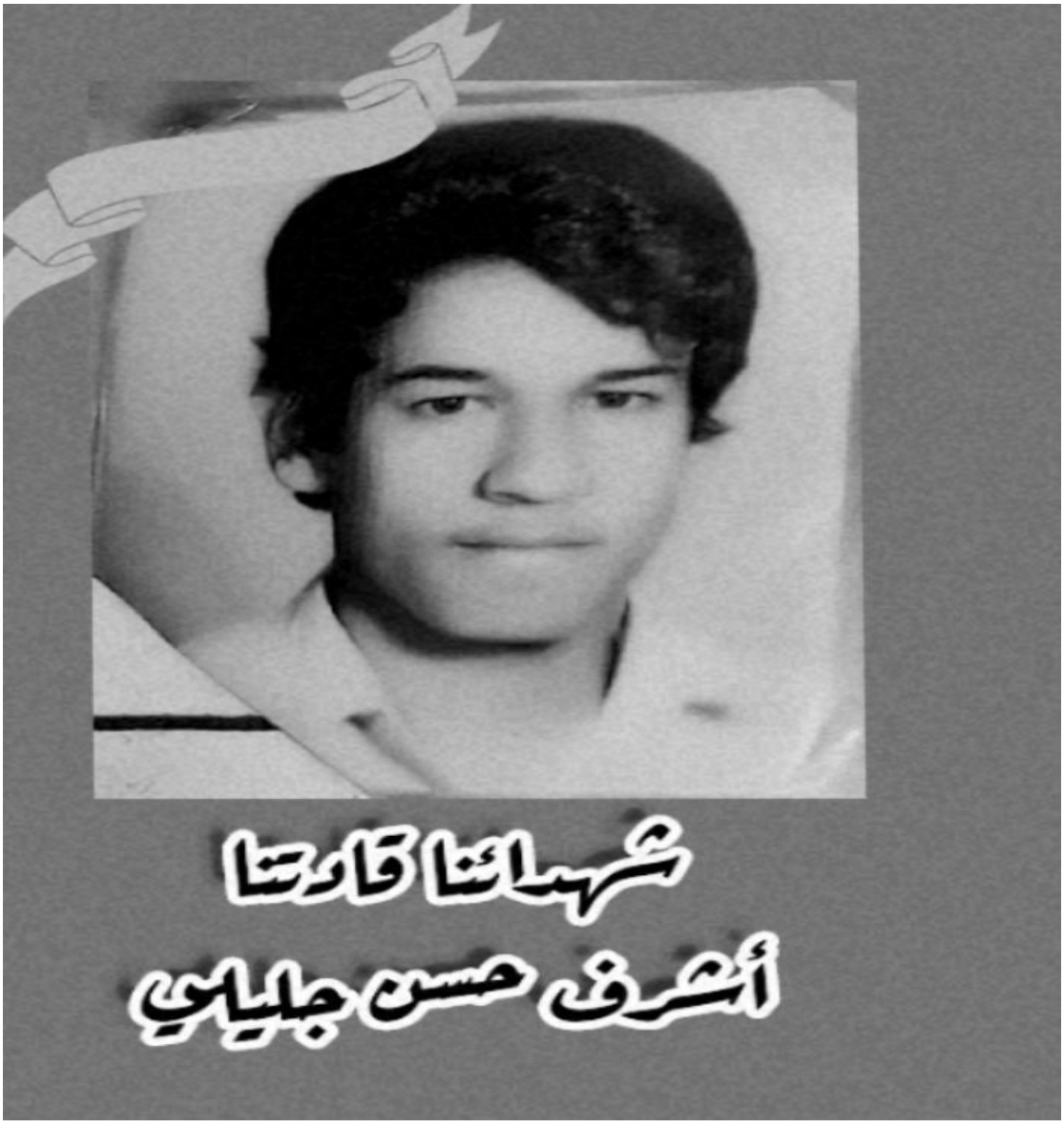

حرب إيران:

حسن كان رجلاً بسيطاً ليست لديهِ عداوةٌ مع أحد، لكنه كان مُهاجراً دارت به رحى الدنيا فحط رحاله في أرضٍ غير أرضه. الرجل الفارسي أتى الى العراق ليعمل عاملاً مع رجلٍ عراقي من أهالي الريف استقر معهم وعمل لديهم كان لهذا الرجل اختٌ فزوجها له لتبدأ قصة مُهاجرٍ فارسي مع ابنة الريف لينجبا ابنتين وولداً.

في تضخم الأزمة وضياع الوطن بين أنياب الطُغاة، تتدلى سُعوف النخيل على شط الفرات وترتسم مع شمس في المساء في لوحةٍ تمثل واقع العراق! ويرتفع صوت ناظم الغزالي من مذياع القهوة في وسط السوق والناس مُجتمعين حول طاولات القمار، وحياة الشباب على المحك تنتهي بأغلبيتهم المطاف إلى أحد المقابر الجماعية أو مفقوداً أو تُرمى جثته إلى نهر الدجلة.

يقول فيهم الشاعر:

سَلِ الأرضَ التي حملتْ ثراكَ.
سَلِ الأيامَ هلْ شهدت سواكَ؟
سَلِ الحُفرِ التي ضاقتْ فشَقّتْ
فلذّاتٍ لنا نسجت سماكَ..
سَلِ الطُرقاتِ عن ليلٍ تقضّى
رصاصاتٍ، عويلاً، أو، عِراكَ.

في ذاك الوقت كانت البلد تعيشُ في حالة حربٍ مُستمرة، وكأنها في صراعٍ مع الحياة تعيش واقعٍ دموي، وفي ظل تلك الحروب ازهرت زهور بُستان حسن تحولت أصوات الأطفال فيها الى أصوات بالغين ربما مُراهقين، وكبر عصفورهُ الصغير. وبوابة الجحيم مفتوحةٌ على العراق بوابةٌ من نار جهنم تُحرق الأيام تتعطر بأريج جُثث المُحترقة تفوحُ منها رائحة البارود. يتصاعدُ دُخان الآمال وعُود الفراق نحو السماء راسمةً غيمة على شكل خارطة العراق. أصوات القنابل والصواريخ والطائرات الحربية التي تُحلقُ على أرتفاعٍ منخفض كأنها حربٌ عالميٌ ثالث.

تتداخل أغصان الحقيقة والسراب ببعضها وتُصبح عقدةً صعبٌ حلها، تقطع طريق الأمان على هذا البلد، الشوارع مُمتلئة بالسيارات المُنفجرة والطُرق المُلغمة والغدر، يُقاتل الأخ أخاه ويُقاتل الأبن أباه. حيث ضاعت الوصال وبدأ الشباب في الهجرة، ضاعت العوائل بين تلال تُختبئ في الاكواخ الصغيرة المصنوعة من طين، تقع عليهم المصائب وكأنهم هم فقط من

يبحثون عن توحيد هذه البلاد في حين يبدو أن البعض يسعى لتقسيمها ولأنهم أعداءٌ للتقسيم تُهدر دمائهم ! زاد العنوس ذهب الشباب كنهرٍ الجاري.

وبين الهجرة والغُربة والعوز والحنين والوضع الأمني في جانب دولته الأمُ وفي جانبٍ آخر الدولة التي استقبلتهُ كلاهما يُقاتلان بعضهما حتى أصبحت المصائب تنهال عليه كطعنات سيفٍ مُتلاحقة حتى إنتهى من داخله، ولم يبقى منه سوى جثةٍ هامدة، ولهذا لم يتحمل حسن كل هذه الابتلاءات وفارق الدنيا مبكراً كانت شديدة المرارة على فواده...

فبقيت زوجته وحيدةً قد ترك لها ثلاثة أيتامٍ لتُداريهم وتُربيهم في زمنٍ لا حياة مضمونٌ فيه حتى لمن يملك أباً، فأصبح ولده أشرف الفتى صغير رجل الوحيد لأختيه وأمه أخذهم خاله ليعيشوا معه وأخذ اشرف ليعمل عنده كعاملٍ حتى شاب.

في ظل هذه الظروف بلغ من العمر ما يُقارب ثامنة عشر، حان وقت التجنيد الالزامي التحق بالجيش ليقضي فترة عسكريته مع هذه الحرب التي لا ذرة أمان فيها تاركاً خلفه أمه وأختاه وحدهن لا رجل ليُحامي عنهن.

يتدرب ويقوم بمهامهِ كملتحقٍ جديد بالجيش محرومٍ من حضن أمه الدافئ ودلال أختيه اللتان لا ترفضان له طلباً يخدمُ نفسهُ بنفسه ولا يجدُ طعاماً لذيذاً يشتاق الى أكلات أمه كلما جلس ليأكل فيُحدق الى صحن الأكل الموضوع أمامه فيجر نفسهُ وكأنه يريدُ أن يبكي مما يراه ويلقاه من تعبٍ شديد اثقلت كاهلهُ لظلم الأفر.

رائحة البارود تفوح من ملابسه وهو يرى أفواج الشُهداء أمامه من شُباك سيارته الحربية، فيُشارك في أغلب المعارك التي يخوضها فوجه فيُشارك في الدفاع والهجوم في تلك الحرب، وهي اسوء من حرب كويت بألف مرة. يذهب اشرف للعسكرية وينزل في الإجازة بين كل شهرٍ وشهر ليُقبل يدي أمه ويمسح دموع أحزانها ويحمل عنها بعض همومها ويداريها فيعيش مدةً في حُضن والدته قبل أن ينتهي إجازته ليرجع مرةً أخرى إلى واجبه تاركاً لها بدموعها وحزنها...

بعد مرور أيام الفراق الطويلة وبعد الانتظار التي قد صنعت من أمه يعقوبا آخر تنتظر رجوع يوسفها من بئر الحروب، وحين قرر يوسف الخروج من البئر اختالتهُ الذئاب وتغدت بلحمه النظيف لتُرسل خبره لأهله في غفلةٍ منهم أن **"تعالوا لتستلموا جُثة ولدكم فقد استشهد"...**

فقام الرجال بإخفاء الخبر عن والدته، ثم ذهبوا ليستلموا رُفاته ذهب خاله، وأستلم رُفاته بعد مرور يومٍ كامل أتوا بجسده الطاهر وهو مُحترقٌ من رأسه إلى اخمص قدمه عندما جاؤوا به وادخلوه الدار وقعت والدتهُ مغمياً عليها رشوا عليها الماء واقاموها رأت ولدها مُحترقٍ أمامها لم تتعرف عليه بدأت تبكي وتنتحب لم تُسيطر على نفسها ثم صارت تقول:

_ولدي اشرف يا وحيد قلب أمك لمن تركتنا يا ولدي؟ ما هذا الذي تراه عيناي؟ ما كل هذه الحروق في جسدك؟

والدمع يجري من مُقلتيها ثم زادت في الأنين حتى كاد حجابها ينفتحُ في غفلةٍ منها كانت تنتظر رجوعه على أحر من الجمر، ورجع إليها كرجوع يوسف الا أن يوسف رجع على عرش الملك وأما اشرف فرجع مُحملاً بالتابوت. بكى يعقوب من فرحه وبكت هي من حُزنها لم يتقبل يعقوب فراق ولدهُ وهو نبي، فكيف لامرأةٍ أن تتحمل؟ القلب قلبٌ إن كان نبياً صاحبه ام إنساناً عادي الحُزن لا يفرق بين أحد الا أن هناك من يُحاول أن يصبر وهناك من هو الصبر بذاته ...

من يلومها على حُزنها؟

لا كلمة يصف حالها فقدت وحيدها انتهت آمالها قبل البدء في تحقيقها. كانت تُخطط أن تراه عريساً وتأخذ له إحدى الجميلات ولكن كم من أحلامٍ ضاعت هباءً، كم من خطط انتهت قبل الشروع فيها. زادت في العويل والنياح تتنفس الصعداء ترتعشُ أطرافها تمسك اناملها ببعضها هرولت إلى تابوت ولدها حاولت حضنه وحولها جمع الغفير من الرجال المجتمعين حول التابوت. وفي جانبها تقف أبنتها تبكي وتصرخ:

_ليس هذا بأخي أنا أخي حيٌ لم يمت.

حملوا التابوت بعد توديع أهله وأخذوه إلى المقبرة فدفنُ الولد إلى جانب أبيه.

ذهب أشرف دون إياب قد التحق بعالم الملكوت عرجت روحه إلى السماء ليترك خلفه أهل الأرض سعيداً فرحٍ دون أن يرف له جفن بأمل العودة إلى الحياة..

مرت الأيام على المرأة وهي تحترقُ في بُركان آلامها تعيش فراق ولدها لا زوج لها لا ولد ليس لديها سوى الحنين والبكاء وهي تنكوي بحزنها العتيق.. .

مر الزمن ما يُقارب السنتين في تأريخ **1991** وقت استبدال الأسرى كان هناك بينهم أسرى من أهالي ناحيته، من تازة. ذهبت والدة أشرف لتبريك لهم وكلما تحدثت مع أحدٍ منهم. قال لها:

_ لقد رأيتُ أشرفَ هناك.!

وهكذا بقت الأم متأملة برجوع ولدها إليها يوماً حتى كبرت في العمر مر عليها الايام والأشهر والسنين ولم يأتي خبرٌ عنه عيناها تُراقب الباب، متى يرجع؟ اليوم؟ غداً؟ بعد غد؟ ولا خبر. فقط آمالٌ كاذبة تقضي بها أيامها تُساعدها في تخطي أحزانها . وكأن الأحزان تنتهي بمجرد تخيل شيءٍ يُسعد وكأن الأمل هو كل شيء. !

إن النفوس التي تُدرك معنى الحرمان، التي ذاقت مرارة الفقدان، وقاومت رغم وطأة الفراق تتمسك بوردة الأمل حتى لو كانت ذابلةً كالرميم وتحتفظ بها حتى تكون سبباً لتُقاوم أكثر إنها لا تسخى بتلك الوردة حتى تعيش، فإنها إذا خسرت تلك الوردة الذابلة ستتهدم أركانها ..

فتُناديه بنبرة عتاب الوالدة التي فارقت ولدها دون رجوع :

_متى ترجع يا وحيدي؟

تُشاركها في الهموم ابنتاها الواحدة تُخفف عن الأخرى، أنه قلب الأم الذي زهرته قد ذبلت وماتت مبكراً. ولا يمكن أن تعيش من جديد فغائبها لن يأتي..

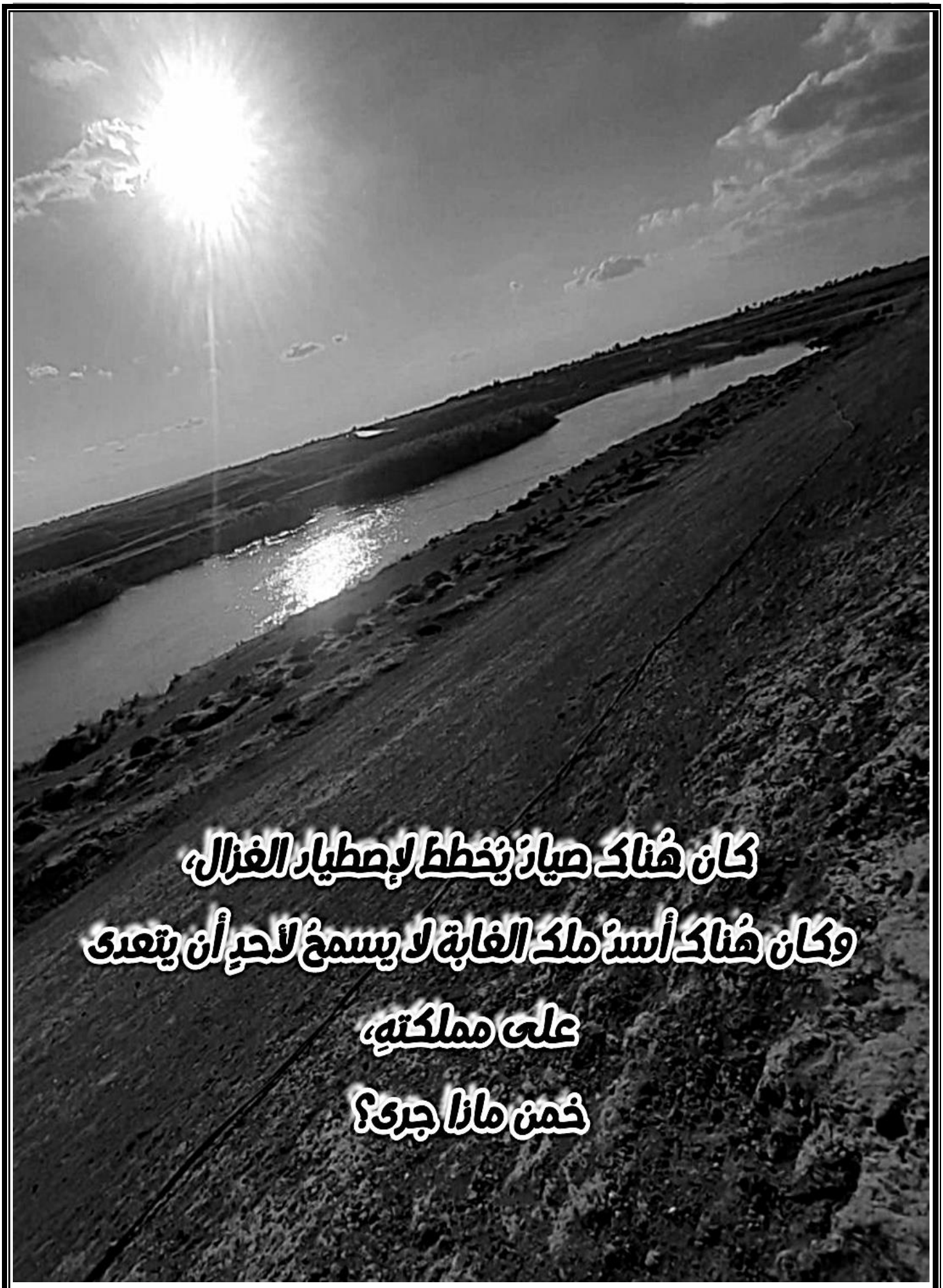
كان هُناك صيادٌ يُخطط لإصطياد الغزال،
وكان هُناك أسدٌ ملك الغابة لا يسمحُ لأحدٍ أن يتعدى
على مملكتهِ،
خمن ماذا جرى؟

زهرة سقاها الدماء

علي محمود البشيري

29 حزيران 2014

كركوك / قصبة بشير

في تواطؤا الأحزان على قلبه الصغير وخيانة الحياة لبلده الذي اقعدته عن التطور حروبه. في لحظة استنجاد الوطن إلى أبناءهِ، تملكتهُ الغيرة بعُمره الصغير فلم يعد قادراً على تُحمل رؤية ما يجري حولهُ من الحوادث فقام باتخاذ خطوةٍ غيرت حياتهُ بالكامل.

أعلن قراره لعائلته ليُترك دراستهُ وهو طالبٌ مثابرٌ ذكي يستطيع إفادة بلادهِ كثيراً مستقبلاً ولكنه اختار أن يلتحق بـالحشد فتطوع بين القبول والرفض من عائلته التي تخشى عليه من الموت لينفض غبار سنوات رحلته المدرسية عنه وينزع زيه الرسمي ويلبس بدلته العسكرية الخضراء ويحمل سلاحه بدل قلمه، ويلبس حذائه العسكري المُلطخ بالوحل بدل حذائه الجميل المصبوغ بالصُبغ الأسود.

مرت الأيام عليه زهرةٌ في مُقتبل العُمر لم يعش بعد ربع حياته ما زال هناك الكثير ليفعله. ولكن لا يهمه هذه الشكليات كل ما تهمهُ الشهادة يعيش حياته متشبثاً بالقدر بأنامل من التراب فيرتطم بأمواج الحياة ويرتحل بين صفحات دفتر أيام واجبه التي لا تنتهي يُجازف يُغامر يخاطر وما للجنون من مُرادفات لكنه لا يتراجع. لما أغلب العراقيين هكذا؟

لما كل هذا العناد فيهم؟ لما لا تهمهم حتى من يحبونها حين يتعلق الأمر بالعراق؟ ليت أحدهم يُجيبني ويُخرجني من دوامة الحيرة التي اغوص فيها.

أيها الشاب العراقي ما أنت هل أنت مجنون؟ شاعر؟ مُغامر؟ مُتهور؟

يُجيب العراقي:

_بل مُجرد رجلٍ يخشى أن تُهان أُمه أمام عينيه.

مضى علي في طريقه ليُكمل مسيرته الرمادية يعيش منطلقا لا يقُيد حريته قيود الأعداء وظلمهم. يصيغ قلادة حياته كل يوم بطريقةٍ اشجع من قبلها وكأنه يتمتع بجروحه وهو يداويها ويلفها بقطعة قُماشٍ بيضاء وكأنه يأكل أكلةً شهية. وفيٌ كمن يُعاني الحرمان من الوفاء وحمل سلاحه الذ عنده من العسل.

يقمع حنينه في داخله ويُصارع نفسه، يُريد من الحياة أن توجعه أكثر وكأنه يُعاقب نفسه على ذنب.!

لستُ أدري ما هو، عله حبه العتيق لوطنهِ. يقتاتُ على صوت أبيه حين يُغافله بالاتصال كلما اشتاق الى حنانه، وعلى حضن أمه كلما اوجعته الحياة. يزهو بسماره، وملامحه الطفولية فهو بوجه طفل وبقلب رجل وبشجاعة قائد وأحلام عجوز.!

يغتاله عقله بذكرياته كلما شت في تنظيف سلاحه، ينزع إلى ذاته كلما عاشر حُزناً ورأى حوله المجازر الاجرامية، في صوته نبرة حزين. يستميت في المُقاومة لأجل الحصول على الأمان لـبلاده هاجسه الوحيد في الحياة آماله.

قد وقع في بئر الحرب التي لا يستطيعُ الخروج منها يصيبهُ الذعر كلما ظن أن بلده ستقع كلها في يد الإرهاب، يتوارى في رمادية أفكاره، أرادته تزداد قياس نوائبه وجروحه.

الوقت صيفٌ تُحرق شمس الوجوه وفي الليل إلى جانب المشروع يرتفع الأصوات على الساتر لتُخيم الفراق فوق خيم جنوده لتُباغتهم صواريخٌ قادمة من طرف الآخر ليذهب البعض شهداء.. زهورٌ محترقة، بالعادة فأن الزهرة تذبل لكنها في العراق تحترق . لما الأيام تُعادي العراقيين وكأنها تتجمل بعبوسهم في بهو جنونها المخملي؟ لما تنفي احقيتهم؟،فهم ملوك هذه الأرض، فلما كل هذه الحقد اتجاههم؟ تُصيب موعد لقاء بالحياء فلا تأتي الا سراً في الليل بعد الساعة الثانية لكي لا يراها أحدٌ حين مجيئها.

تأتي لحظات لتجمع الولد بوالدته وقت تبديل ملابسه، يفتح خزانته ويُخرج بدلته الحربية التي قد غسلته وكوته أمه مسبقاً فيلبسه ويُقبل رأسها ثم يذهب من بين يديها مرةً أخرى..

تتحاشى الأيام إطالة لقاءهما فهي تُحب رؤية الدموع وهي تتصببُ لتُحرق الوجنتين وتتلذذ بالخطوط الحمراء التي تُغطي العيون. هل هناك أحزن من رؤية الذعر في عين الأم؟ وهل هناك أوجع من لحظة الوداع؟ تموت براءة اللقاء الأول شهيدةً على فوهة البُندقية، لتستكن إلى عالم الهدوء والسكون رغم ضجيج المُنتحبين عليها، فيقضي **علي** الأيام البقية على ساتر ينتظر حتى يحين موعد رحيله...

خرج علي مع مجموعة سيد جعفر الموسوي المُطالبين بتحرير بشير من أيدي الإرهابين وهناك بعد نزاع الطويل مع الحياة بعد أن استشهد سيد جعفر في غفلةٍ من عين الأعداء أتصل بوالدته:

_الو.

_الو. أمي أبرئي ذمتي فأنا ذاهبٌ دون رجوع.

في تلك الأثناء بدأت أصوات إطلاقات النارية ترتفع قطع الاتصال. أصبحت قرابة الساعة الخامسة صباحاً عاد ليعاود الاتصال بوالدته وهو مُختنق. نبرتهُ توحي بعظيمةٍ قد وقعت عليه في هذه الحرب الكبيرة على عمره الصغير.

هاتف والدته واردف لها :

_أُمي، أُمي، يا حياتي وكبدي أُمي رأس سيد جعفر في حجري، أبرئي ذمتي لقد استشهد السيد.

_خلص نفسك يا ولدي فداءٌ أنا لعينيك.

يتخلج البِكاء بينهما أنه الوداع الاخير ولكن نفس أمه يأبى الاعتراف. بالله، هل من سهل فقدان الولد؟

_أُمي أرجوكِ لا تضغطي عليه فأنا قد وصلت إلى هنا ولن أتراجع، لن أخون سيدي، هل اتركه شهيداً واهرب؟ بالله ما هذا فعالي. ولكن أرجوكِ أبرئي ذمتي.

وما زال مستمراً في طلب براءة الذمة من والدته لأنه يعلم جيداً أن الجنة تحت قدميها.

_لقد برئتك ذمتي، حلالٌ عليك حليبي إلى يوم الدين، لكن فكر يا ولدي بأبيك أنه شيخٌ مريض.

_أمي والدي لديه ولدان غيري، له ربٌ لا تخافي عليه .

_حسناً يا ولدي افعل ما تراه مناسباً.

لم تتحمل أُمه. وكيف تتحمل؟ أنه من عُجاب الزمان أُمٌ تودع ولدها ليموت. ما حال فؤادها؟ كيف ستعيشُ دونه؟

_أُمي أنا مصاب واصابتي بقدمي.

_علي أترك رأس السيد وازحف أرجع يا ولدي.

_إني ما جاهدت حتى استسلم في لحظة الأخيرة، لن أترك سيد وحيداً دمي ليس أغلى من دماء الشُهداء.

بـالبُكاء راجعت الاتصال به وقلبها يبكي، تستشعر آلامها بفؤادها تأخذها اومتها على فراشة الخيال إليه لتراه أمام عيناها وجُرحه ينزف الدماء ولا شريط ليربطه ويوقف نزيفه لتتفاجئ بالأمواج المُتلاطمة من الدماء التي تجري من الشُهداء لتختلط موج دماءهِ بموج دموعه.

وبينما هما يتحدثان حان دور اليمامة المجروحة، أردف :

_أمي بالله اعطيني ابنة عمي اكلمها.

أعطت الهاتف للفتاة لتُكلمه.

_اسمعيه يا ابنتي أنه المرحلة الأخيرة لن تريه بعد هذا.

_الو. نعم علي.

_أبرئي ذمتي كنت أحبكِ كثيراً ولكن لا يوجد قسمة.

فقط بثلاثة جُمل لم ينطق غيرها **"أبرئي ذمتي" "كنت أحبكِ" "ولكن لا توجد قسمة"** ذهب واستشهد لتضيع جثته بين التراب حتى إلى ما شاء الله حتى يتم تطهير بشير وما أبعد ذلك الوقت منه.

اكتفى من الحياة برشفة عمرٍ صغيرة تذوق فيها أنواع الحزن وعاش خلالها جروحاً أثقلت قلبه الصغير ذهب ليخترق السواد خزانة والدته، انهيارٌ لم تكن بالحسبان للأحداث.

وطنٌ فقد وعيه في لحظة غضبٍ شديد فراح يشكي همومهُ لعلمهِ المُغطى بدماء شُهداءه الذين يتوسطهم شابٌ صغير اسمهُ **"علي"** . يبكيه اهله كبُكاء الرضيع على حليب أمه. أنها بداية نهاية الشهيد فهذا الحادث بداية حُزن أمه ليستمر سنين عمرها الباقي بدموعها ومصونها الأسود ليطيح أيامها أمام عيناها في ذاكرة الحُزن دون أن تتحرك لتخرجها وتنقدها من الغرق بل إنها تغرق معها تجرها تياراتها أينما أرادت وهي تسبح معها وعباءتها لا تفارق رأسها لتواسي أُمهات شهداء..

وطنٍ كثيرٌ أعداءه الذين أغروا شبابه ووعدوهم بالأمان الذين لم يقضوا يوماً سعيداً فيها ووعدوهم بوطنٍ تخلوا من الفساد فأغروهم ثم استكلبوا عليهم ينهشون عظامهم، حتى أرسلوا له داعش فكان شبابه من أمثال علي مائلون إليه مُغرمين به مُستعدين للتنازل حتى عن أغلى ما يملكون وأكثر من يحبون لأجله فقط لأجل عينيه .

استشهد علي ولقي حتفه مغطىً بدمائه ليبقى في عراء بشير لتنبتُ فوقه زهرةٍ حمراءٌ حتى سيقانها وأوراقها لأنها لم تُسقى الماء بل كبرت وشربت من دمائه قبل إيجاد رُفاته.

قد سقط عنه غرور الرجال، وزرع مبدأ الوفاء للأجيال، فمن يعرفه يتعلم منه الشجاعة والوفاء قد تعلمها من سيده العباس (عليه السلام)، فما عاد فقط مجاهداً بل كأنه أصبح بطلاً روحي وكأن روحه ارتاحت من جسده بعدما خرجت منه أصبح حراً راح يُحلق في السماء ويرى الناس، وينظر لوالديه ويمر من أمام قناصي أعداءهُ دون أن يلاحظوه قد اكتسب قوةً خارقة تُخفيه عن أعين الناس يراهم ولا يرونه قد أصبح **شهيداً** ..

وكلما ذرف أحباءهِ الدمع عليه.

أردف لهم:

_ما بالكم تبكون عليَ؟! ، أنا حيٌ لم أمت.

أنّي لا أندبُ زوجي الشهيد،
فأنا كزوجة وهب قد وهبتُ
وهبي الخاص
فداءً للحُسين (عليه السلام)
راجيةً لشفاعة أُمهِ يوم
القيامة.

دع الحُكم للعقل

أحمد محمد البراوجلي

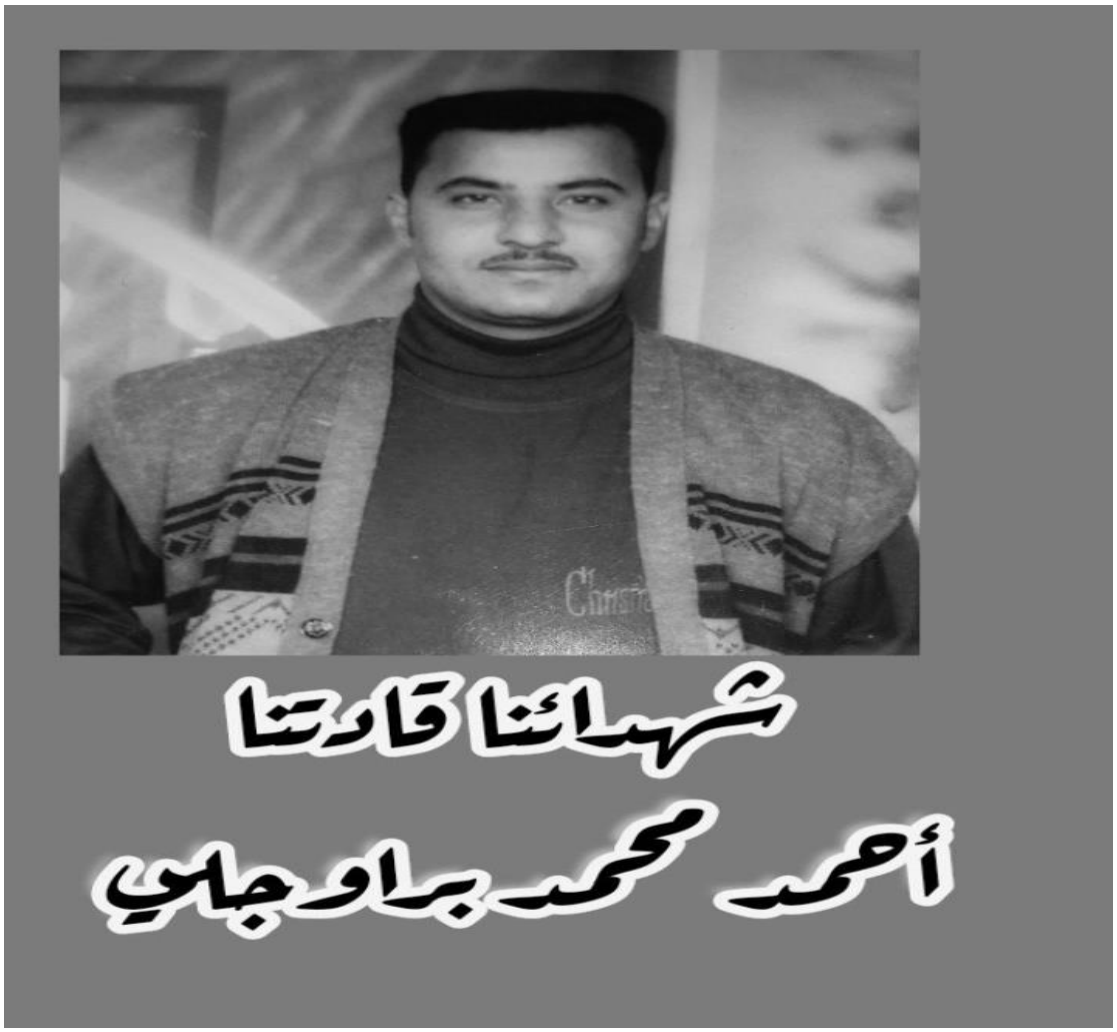

17 حزيران 2014

قضاء آمرلي / قرية براوجلي

تعيشُ مُتأملةً أن يدق السعادة بابها الذي يُغطيه الغبارُ من قلة الزوار، وغُربة أهل الدار، ليفتح مقبضه الذي أصابه الصدأ. ويدخل دارها الفخم كثيرٌ من الملأ، ويُقام في الدار وليمة عيد الأضحى، ويزول عن وجوه من تُحبهم الأسى.

لكن آمال القلب كـالوهم يُصيب القلب بـالجوى، تعيش في حقول الحياة كإنسانٍ آلي، تتناسى مشاعرها، تتبع عقلها فلا مُرشدٍ لها عداه.

_ لا أتذكر ملامح أبي؟؟ ولا أعلم شيئاً عنه؟

هكذا أجابني ولدها الوحيد عندما سألته عن والده، والصمت تُخيم على أختهِ الصغيرة.!

استوقفتني كلماته، غزت عقلي الأفكار، يرتفعُ فيه هُتافات الشجن وعلامات التعجب تدور فوق رأسي...!

ذات يومٍ تعرفتُ على والدته عن طريق المُصادفة كانت من الأشخاص الذين نحسُ بالأمان في لقائهم، فيهم روحٌ مُختلفة تراهم أقوياء وهم في داخلهم منطفئون من الحياة يحاربونها من أجل أعزاءهم.

كانت الشمس قد بدأت في الغروب، وازدادت حُمرة السماء، ولا غيوم فيها. الآفاق البعيدة فيزيائياً، القريبة من مُستوى البصر، تُبهر العقل، وتخطف النظر. تبدو ساحرة الجمال، شجرة النخل السمراء في وسط الحديقة قد أتت أُكلها طيبٍ تتدلى سعوفها، وكأنها تُريد أن تنام على الأرض من ثُقل ما حملت، بدأ القمر يسطع شيئاً فشيئا، أمسى الليل أنها الساعة الثامنة مساءاً.

كانت تسير ذاهبةً نحو بيت أبيها وهي تمسك بيد صغيرتها التي تبكي، وتمسك يد ولدها بيدها ، وتتحدثُ إليها مُحاولةً إسكاتها فتقول لها:

_ لا تبكي يا صغيرتي لقد ادميتِ فؤادي.

___أُمي أُريد أبي أريده الآن . لماذا تركنا وذهب؟ لماذا لا يسأل عنا؟

سأُخبر جدتي عنه، أنه لا يهتم بنا...

فبدأت تبكي معها وجهها الشاحب بألف لون، ودمعها البارد في مُقلتيها، ترتجف صوتها وتتلعثم في الكلام ترتعدُ فرائصها في عينيها لمعةٌ كالضوء حين ينعكسُ على صيقل. تُحدقُ

بطفلتها الصغيرة تتصبُ عرقاً تُحاول أن تحضن ابنتها في وسط الظلام ليلاً تحت النجوم وابنها الذي ينظر إليها بهدوء وكأنه لا يفهم شيئاً مما يجري ..

ولكن ابنتها تدفعها وقد جاشت وتصرخ، وتُنادي تُريد أباها، لا تسكتُ عن البُكاء، دمعتها تملأ عينيها الجميلة تجري راسمةً آثارها على وجنتيها الوردية، وشفاهها الصغيرة ذابلةٌ كوردة الجوري الذابلة، وشعرها الأصفر المُجعد تُغطي وجهها، لا تبرح تتحركُ من مكانها، تتراكض اللحظات، والدقائق، وهي لم تكف عن البُكاء.

وصلوا بيت أبيها وهناك بعد مُحاولات أمها غفت الصغيرة قليلاً كالأميرة النائمة، الأطفال هذه المخلوقات البريئة، الناعمة، الجميلة حين يُسيطر على ملامحها الحُزن، وتختفي الإبتسامة من وجهها تُخبرك بأن الأيام لا تستحقُ العيش، وإن هذه دنيا فانية، تخبرك أن انتبهوا يا بني آدام، وراجعوا حساباتكم، وانظروا، ماذا قدمتم من أعمال حتى أصبح الأطفال هكذا منقطعون عن الحياة؟ ما ذنب الصغار ليدفعوا ثمن أعمالكم؟!

بعد ما يُقارب ساعةً استيقظت الطفلة من النوم وأصبحت تقول لوالدتها:

_أمي، لقد زارنا أبي أخذني في حُضنهِ، ومسح على رأسي، وقبلني من جبيني، وأهداني دميةً جميلة، لكنه قام وذهب ناديته:" أبي، أبي ". لم يسمعني لم يتحدث الي كان فقط يبتسم، ويلوح لي بيديه كان يبدو سعيداً، وملامح الفرح بائنةٌ على وجهه. حين هممتُ بالذهاب إليه تركني، ورحل تلاشى عن عيني. أتصلي به، وأطلبي منه الرجوع فأنا لم أعد أتحملُ فراقه. أمي، متى سيرجع أبي؟؟

_ عزيزتي، حين نصلُ إلى البيت اغمضي عينيكِ ونامي سيرجعُ إليكِ فقد أخبرني أن أقول لكِ اذا أردتِ أن تلتقي به ما عليكِ سوى النوم وهو سيزورك في الأحلام!

فبادر ولدها بسؤالها وعيناه قد تلألأتا مثل السدم:

_أُمي إذا نمت هل سأراه أنا أيضاً؟

_نعم يا ولدي نم ستراه أنت أيضاً.

زوجها أحمد رجلٌ غيورٌ جداً، ومقدام. ذات صباح فوجئوا بأصوات إطلاقات نارية قريبة منهم خرج زوجها لدقائق قابل رُجلاً تحدث معه ثم عاد مُسرعاً وقد بدت عليه علامات الغضب...

أردف لها :

_هيا خُذي الأطفال وأهربي إلى أمي.

_ لماذا؟ ماذا حصل ؟!

_ أذهبي بسُرعة أن الدواعش هجموا على المنطقة أسرعي لا تضيعي الوقت.

_ لكنني لا أستطيع الذهاب من دونك، لن أذهب لن أتركك، نعيشُ معاً أو نموتُ معاً.

_ عزيزتي هؤلاء لا دين لهم، لن يرحموا أي أحدٍ منا سيقتلوننا ، فأرضنا في خطرٍ عظيم إذهبي بسُرعة وانقدي أطفالنا.

بدأت الأصوات تقترب، لقد وصل الإرهابيين رأس الشارع يتراكضون أيٍ منهم يكسب غنائم أكثر، وأيهم يسفك دماءً أكثر. صرخاتهم تعلو حين يتكلمون، وكأنها نهيقُ الحمار أو نباح الكلب، بل كقباع الخنزير. يطلقون العيارات النارية دون تفريق، لحاهم طويلة أسنانهم سوداء رائحتهم رائحة الكلاب، قلوبهم كالجلاميد لا يزحزحهم عن أعمالهم الشيطانية الملعونة شيء، لا موعظةٍ ولا تهديد.!

أحمد يبدو كالدرواس المجروح، شديد البأس حازم، صارمٌ لا يهابُ، لا يتراجع يقاتل إلى دقيقة الأخيرة، نظر نظرةً في سماء، فوقعت أشعة شمس على عينيه برقتا كقارورة عسلٍ تبرق، وتلمع، وتُخيف فأرخاها، وأطرق رأسه نحو الأرض ثم جثى على ركبتيه قبض قبضةً من التراب، فنظر إليها وسيل دموعهِ تجري على وجنتيه، وكأنه يقول لها : "أنتِ القاضي وأنتِ الحكم، ودمي على يديكِ لا مُستباح!"

ثم حدق لزوجته فبدأ يصرخ:

_هيا، خُذي الأطفال وأركضي.

ثم خرج كالليث الغضوب وهو يُنادي :

_ نحن أولاد عليٍ أيها الحمقى لن تقدروا علينا..

جمعت أطفالها وخرجت من الدار، وقفت من الدهشة مما رأى عيناها أمام الباب لا تستطيع السير فقد رأت أحمدً يركض نحو الإرهابيين، يركض كالفهد حين يركض خلف فريسته، ويُنادي **" أدركنا يا علي، ادركنا يا أبا الحسن".**

صرخاته كانت جمراتٍ تقع على قلبها، تُحرقها من رأسها إلى اخمص قدميها، تجعلها شهيدةً في حبهِ. فهي دونه كمن يقع في نارٍ مُلتهبة كمن يدفنونه وهو حي. بعد إصرار زوجها،

استجمعت نفسها، ومثلت القوة اغمضت أعين أطفالها، وبدأت تركض، وصلوا إلى دار أهل زوجها ركبوا السيارات وذهبوا إلى كربلاء، تركوا دورهم وكل ما يملكون فارقوا من يحبون، تكويهم الأيام بلهيب الذكريات، وتُحيهم لحظاتها السعيدة، ولحظاتها المُرة كالقهوة العربية، تُشبه صراع الصبار في الصحراء القاحلة ضد الجفاف...

أما زوجها فاستشهد بعد انتهاء عتاده قد أُصيب بطلقةٍ برأسه أوقعته شهيداً، قد روى بدمائه أرضه التي تعلمت على الشُهداء فلا بيت فيها الا وقد أخذت منها شهيداً عربونً على عيشهم فيها كصاحب البنك لتدفع لك قرضاً عليك بكفيل والشهيد كفيل عائلته، وحين إصابته شعرت بالآلامٍ في قلبها وكأن ثورً هولندياً مزق وتين قلبها الأحمر بقرنيهِ الكبيرتان، فعندما يهوى القلب فرداً يتألم لجُرح حبيبهِ فلا يعود يُميز، أكان آلمهُ لجُرحٍ في جسده أم جسد حبيبه؟!

كان زوجها رجلاً محترماً جداً، وعطوفاً لا يأكل حتى تبدأ بالأكل، وأحياناً كان يقوم هو بطبخ الطعام، كان يُحبها، ويُحب أطفالهم كثيراً، ولكنه كان يُفضل والدته عليهم كان يُحبها حُبً جماً، ويتعامل مع إخوته الأصغر منه، وأخواته وكأنه والدٌ لهم. أمه امرأة مُجروحة، جُرحها لا يندمل، صديقتها الوحيدة ضوء القمر في الليلة السوداء، فقد فقدت أربعةً من أبنائها، أصبحت جليسة القبور، مولعةً بوحشة المقابر..

بعد شهادته كلما اشتاقت إليه تجلس لوحدها وتُحدث صورتهُ بصوتٍ شجي سماعه يُبكي الحجر، تحملُ عتاباً طويلاً على القدر، تتنفس صعداء، تشهق الألم، وتُعطي زفير دمع وندم، تُتقن فن الهدوء والكرامة تعرف كيف تكابر...

فلو كانت تستطيعُ الكتابة كانت ستكتبُ ما قالته لي ذات مرة:

_الفراق له طعُم سيء المذاق تصنع منك أنسانً أخر، فهذه المرأة لستُ أنا هذه الإنسانة صنعها الفراق، والبُعد جفاء الأحبة...

ومنذ ذلك الحين أصبحت كلما سألها ولدها عن ملامح أبيه، وسألتها ابنتها عن موعد رجوعه تُرجح استخدام عقلها فُتخفي حُزنها وتُظهر حنانها والبسمة لا تُفارق ثغرها وتتصرف بتعقل فلا تبكي أمام أطفالها قد أصبحت لهم أُماً وأباً وبقيت مُحافظةً على ذكرى زوجها في قلوب أطفالها وتُحاول أن لا تُحسسهم بفراغه الا أن جدران الدار واثاثها، لوحاتها، حديقتها، وزهورهِ كل شيء يُذكر به تفوح برائحته فلا مجال للنسيان فحين تُفارق من تُحب تُصبحُ خليل الشجون، وتُصبح الحياة بعينيك ذو لونٍ رماديٍ داكن، تُصبح وكأنك مقيدٌ بخطام على جيدك، لذا

عليك أن تترك القلب ويُصبح مبدأك الوحيد في الحياة. نعم عليها ذلك وبالأخص أن ولدها الصغير يردد كلاماً أكبر من عمرهِ، أنه يقول:

_عندما أكبر سأتطوع في الحشد ثم أخذ ثأر والدي وبعدها استشهد مثله..!

لذلك تدفن حُزنها إلى قلبها و تعمل على القاعدة، **"دع الحكم للعقل"**. مبدأ الإمام علي (عليه السلام) وتستخدم الحكمة بتعاملها مع أطفالها.. فأحيانا عليك أن تتجاوز نفسك لأجل من تُحبهم أكثر من ذاتك ...!

كيف السبيلُ الى اللقاء بينها وبين
زوجها وهو قد استشهد؟
وتدخل بينهُ وبينها حُب الوطن،
فحال دون إجتماعهما،
ليستمر الفراق بينهما إلى الأبد..

ذاكرة العائلة السعيدة

شهيد حسين فائق وشهيد سالم إبراهيم

"أهلاً بكم إلى حياة العائلة السعيدة أنتم بحاجة إلى قول كلمة ما شاء الله حفظاً لهم من عين الحسد".

في زحمة الحياة يبحث الإنسان عن من يُكمل حياته ليُكون العائلة التي تُضمد جروحه كلما آلمته الحياة وتحضنه كلما ضاع في هفواتهِ. وهكذا فعل سالم قد وصل من العمرُ ما جعلت أمه تُريد تزويجه فوافق على ذلك...

في بعض الأحيان ونحن نبحث عن مسار السلام نجده في إنسان ، يُصبح هو كل شيء سعادتنا، حزننا، مشاكلنا، وراحتنا، كل شيءٍ يخصنا يكمن فيه، لأنه الإنسان السري الذي خلقه الله لنا، ألا يقولون **"يخلق الله الإنسان ويخلق إنساناً آخر له ولأجله فقط"؟ .** هذا الإنسان يُصبح شريك الحياة، على رأس قائمة الأولويات، أنه كما يقولون "توأم الروح" كل الأماكن وكل الازمنة تخصه وحده، وهكذا وجد سالم ضالته فتاةٌ فيها من الخُلق الحسن ما جعلها من الزينبيات في حجابها و تصرفاتها .

بعد الاتفاق والانسجام بين العائلتين والمُقدمات التي لا تخلو منها بداية أي نكاح والتي تُمثل أولى خطواتهم نحو السعادة، تم عقد القران على مهرٍ قدره حب سالم واحترامه لها...

ذات مرة بعد رجوعه من عملية تطهير طويلة كان يتخبط بخطواته بثيابه العسكرية استقبلته زوجته جلس على سرير مرهقٌ جداً لا يكاد يرى أمامه يريد ان ينام، نادته فأجابها بعينيه وكأنه داخلٌ في حالة شرود أليس التعب يُشرد البال؟ وقبل أن يُغمض عيناه أخبر زوجته بنظراتٍ تحملُ في طياتها تعبهُ العتيق بملامحه التي تُشبه ملامح الطفل النعسان "لا تنسي إيقاظي للصلاة "،فنام ليلهُ كالعامل الذي ينام بعد عشرة أيامٍ من العمل الشاق.

سالم الجندي الذي صارعته الأيام كان مقداماً فلا يهاب معركةً ولا عبوةً ولا رصاص حتى إذا مرت الطلقة من فوق رأسه... مرت الأيام ورزقه الله بطفلين كفلقتي القمر ميثاقي حبه لزوجته التي تُحبه هي مثله...

ذات يومٍ قرروا بناء عشهم الخاص دارٌ جديدة أرضيته بألف شكل ومصابيحه بألف لون كما تخيلوه سيكون دارهم الخاص. تتوسطه حديقة يقيمون فيها حفل شواء وهم يشغلون مدح للإمام عليٍ (عليه السلام) ويقومون بشواء الكباب وتهفه زوجته مُجتمعين مع عائلتهم وأطفالهم في صورةٍ أقربُ من الخيال منه إلى المُحال...

زوجة سالم كان لها أخاً تحبه كثيراً، أخيها كان رجلاً جسوراً فبينما هو طالب إعدادية صدرت فتوة الجهاد فترك دراسته ليلتحق بقافلة العشقِ ويتطوع في الجهاد فبدأ يشق طريقه نحو المطلب.!

فدخل دورة مُقامة لتدريب الجنود وبعد التدريبات الشاقة، و"المشاق لا يتحملها الا رجال أليس كذلك؟"

حصل على الرُتبة الأولى في القنص، فراح يُشارك في الحروب دون أن ترف له جفن كالأسد الغيور قد تعلم ذلك من مدرسة عشق الحسين (عليه السلام) التي اخرجته عاشقًا وصيرته قسورةً لا يهاب الموت وإن حالفه.

صار يركض في ساحات بشير والموت في حده يُحيط به من الجهات الأربعة فوقه وتحته خلفه وأمامه فما تركته حتى قضت عليه فبينما هو يقوم بتفكيك العبوة الناسفة في معركة قصبة بشير العام **الثالث عشر من آذار 2015** انفجرت عليه فأصبح هو الشهيد الأول في ذلك المعركة ليودع حياته وهو تاركٌ خلفه تأريخٍ ستبقى مصباحاً مُضيئاً في سماء البطولة والوفاء، فكتب بدمائه قصةً تُحكى للأجيال إنه كان هناك بطلاً اسمه حسين نامق استشهد لأجل حبهِ الوحيد قد عانى في البداية جفاء حبيبته الا إنها حضنته مرةً فلم تتركه بعده...!

يا تُرى كيف كان حال قلب أخته ذلك اليوم؟ هل نامت ليلها؟ هل شقت جيبها؟ أم راحت تختبئ عن أعين الناس لتندبه براحتها لا يسمع أحدٌ صوت بكائها؟ من سيعوضها عن ذكراه؟

الأخ أعز على روح من كل شيء أنه أعز من أبن الأنسان. حسين أصبح جرحاً لا يُفارق أخته فقد فلق قلبها إلى فلقتين.

ومرت الأيام وجرحها يتجدد كل يومٍ في كل شهيدٍ تراه أو تسمع به في كل شابٍ حُرم أهله من رؤيته عريساً من كل هلهولة من سيارات العرائس**." العائلة السعيدة"** قد أصبحت أمها مجروحة والأب يجتهد ليُرمم حُطام قلب زوجته ويُعيد البسمة إلى ثغرها من جديد. جُرحها كان بسبب الفراق والفراق داءٌ لو بيع دوائه في الأسواق لكان الطلب عليه أكثر من الطلب على حبوب وجع الرأس ولكان أثمن من علاج السرطان. لماذا أوجد العلماء العلاج لكل شيء بينما عجزوا عن إيجاد دواءٍ للفراق؟! "يا علماء بإسم العراقيين اناشدكم بالله اصنعوا لنا ترياق اللقاء فنحن بأشد الحاجة إليها".

ومرت الأيام تخلوا من الاحباء...

ذات يومٍ بينما سالم يُلاعب طفله الصغير يردف له:

_كم تحب والدك؟

يفتحُ الطفل الصغير حضنهُ ويُجيب:

_أنا أحب أبي بهذا القدر.

فيمزح والده قائلاً:

_أنت لا تحبني.

فيقوم الولد بتقبيله، يمزح مع ولده الصغير وكأنه يتصل به بهاتفٍ مصنوعٍ من البلاستيك.

فيسأله ولدهُ :

_الو بابا، أين أنت؟

_في الدوام.

_هل سترجع ؟

_نعم، إن شاء الله.

_إن شاء الله، إن شاء الله.

_هيا مع السلامة أقفل الخط.

_بابا، بابا، أنا أهاتفك.

_حسناً أسمعك حبيبي.

_آهٍ يا بابا. لقد نفذ رصيدي.

انتهى بيت الأحلام قررت العائلة الانتقال إلى سكنهم الجديد تنتظرهم أيامٌ سعيدة ستتفتح زهور حديقتهم وستُغرد العصافير على شجرة الليمون مع الأطفال الصغار بأغنية العائلة السعيدة.

حتى أتى ذلك اليوم بأيامٍ قبل الانتقال أتى سالم ليودع عائلتهُ كوداعٍ أخير ليزرع بداخلهم بذرة الحُزن والقلق لأنه سيُشارك في الحرب الجعد. ما بال هؤلاء الرجال؟ لما يكدرون صوف أيامهم بأنفسهم؟! هؤلاء الرجال قد أخذت أرض بلادهم عليهم عهداً وجعلتهم يوقعون تحتها بأنهم **"الشهداء القادمون "**، لترتفع أيادي مُحبيهم بالدعاء قائلةً "اللهم ارجعه سالماً لنا".

ودع سالم زوجته وأطفاله وتوجه إلى الجهاد تاركٍ خلفهُ أطياف أحلامهِ البنفسجية، تاركاً خلفهُ دموع عائلته السعيدة وهم يلوحون له بأياديٍ ترتجف ودموعٍ تندرف ألسنتهم تردد :

_إلى اللقاء .

وقلوبهم تردف :

_لا تذهب أرجوك.

ألم يكونون يخُططون للتنقل فمن أين أتى هذا الحرب؟ ألم نُعلن قبل سنوات تطهير ديالى من الإرهاب فمن أين أتى هؤلاء؟

أنهم الخلايا النائمة، أنهم كبريت الحقد تنتظر لتُحرق عود الوفاء. بل أنهم أبناء يزيد ينتظرون لينتقموا أكثر من الحسين (عليه السلام) ليُحرقوا قلبه المجروح والمسموم من جديد بشيعته ومواليه.
"ألا لعنة الله على القوم الظالمين ".

بدأت العملية وتم تطهير بعض الأماكن حتى انفجرت عبوة ناسفة على سيارتهم. **سالم ابراهيم** المُلقب بأبو داود. كان من الشُهداء الثلاثة **"محمد فلاح"** و**" مهدي علي"** . دماءٌ تركمانية لتطهير أرضٍ عربية دماءٌ شيعية لأمان أرض الُسنة. **بتأريخ 11 من شهر تموز 2020**. ثلاثة جروحٍ في يومٍ واحد في صدر تازة، قد علموا الدُنيا إن لا فرق بين أبناء هذا الوطن فالدم نفسه تجري في عُروقهم، حتى لو اختلفت قومياتهم، والقلب نفسه تنبض في أجسامهم إنها بذرة حبٍ واحدة تقسمت بين أرواحهم، وتجسدت في مواقفهم، قد جمعهم حُب الوطن.

ماذا ستفعل تازة؟ أين ستُعلق صور شهدائها الجديدة؟ في أي سيطرة؟! فسيطراتها قد تزينت برمزيات صور شُهدائها لتُحيي طيورها كل صباحٍ جديد وتُشيد بموافقهم وتُذكر ببطولاتهم فتكون معلماً من أحد معالم تازة وكأنها معرضٌ فني لكنها أكثر قيمةً من لوحات الفنانين..
فحين ترى زوجته صور شهيديها (أخيها وزوجها) في السيطرة الرئيسية تبدأ بالبكاء راغبةً أن يتوقف الزمن ويتوقف كل شيء كل شيء بل علها ترغب أن يتوقف قلبها فقط.. ولو سُئلت حينها، أيهما الأصعب على قلبها ؟
تُجيب:

_بعد الأخ لا يُجبر خاطر وبعد زوج تنتهي السعادة .

حين تساقطت أحلامها أمام ناظريها بشهادة أخيها أصبحت كجثةٍ هامدة فأتاها من وسط النيران المُحيطة بها كفارسٍ مغوار وأنقدها من رُكامها الداخلي وتحطمها فمد إليها يد عونهِ وسحبها من وسط النيران التي حرقت بعض أجزاءها، واقترح قلبهُ ليداوي قلبها فاتخذتهُ أملاً وماءاً تُطفئ بهِ كُل نارٍ صغيرة في داخلها قبل أن تُصبح حريقاً تلتهمها، وبعد أن استجمعت نفسها وقويت بهِ والأمل الذي زرعهُ في داخلها وبعد أن شُفيت من آثار الحروق في قلبها ، تركها وذهب، نعم، تركها ليجف ماء أملها ليُقدمها خشبةً جافة لنارٍ مُلتهبة تركها لها حتى احترقت كُلها ليتهُ تركها تحترقُ من قبل عسى وعلها كانت ستخرج وبها ذرة أمل ، أما الآن فهي قد ماتت وهي تحترق من داخلها، نعم إنها ميتة على قيد التنفس..

أصبحت دار سالم الجديدة مدفنهُ وقبرهُ، شيعهُ أهالي ناحيتهُ من الإسعاف أمام طفله الصغير يراهم يغسلون والده يُكفنونه ويُحملونه على قطعةٍ خشبية ساكتة. **"لما لا تتكلم أيها الصندوق الأسود؟ من تحمله والدي".** أمام عيناه وعينا أخيه الصغير على الأكتاف حملوه وفي التُراب بالحُزن حفروا دار غربته بعدما اخرجوه من تابوته الأسود انزلوه وأهالوا التراب عليه ثم دفنوه في قبره. وبعد الرثاء والقرآن بالدموع ودعوه ورجعوا يحملون في جُعبتهم الألم. الأخ يسأل أخيه" **أين أبي؟** "، ويركض الطفل على جدته والآخر عل أُمه ويسألانهما **"متى سيرجع والدي؟** ". يُنادون **"أبي"** ، **"أبي"** والدموع تجري من مُقلهم كالمطر.

داود في بلادي الكثيرون منه، الأيتام في العراق كثيرون مثل النجوم.!

قد شاب الفؤاد وانتهى الحديث كلها قيلت جملةً واحدة استشهد الحامي مذ بانت هلال الفراق ليت شمس اللقاء أحرقتهُ وجعلتهُ رماداً. ليت وليت الف ليت ليته ما ذهب ليته ما استشهد وليته، والى متى ليت؟ وهل تؤخذ الدنيا بالأماني؟!

قد خُلد في **ذاكرة العائلة "السعيدة"!**

أُكتبُ هذه من لسان داود بدمعته التي تزين مُقلتيه **:**

والدي أحبنا كثيراً

كُانت سعادتنا أقصى مُناه

وأهم أشياؤه عندهُ كانت

صورة أُمي وحُضن أمه.

وقلبي ودمعي وحزني

وشمعةٍ من أضلعي تنطفئ بداخلي

تشجن لغياب أبي ..!

قصيدةٌ، أراها!

أكتب هذه القصيدة رداً على الشُعراء الكرام، واهديها الى أبطالنا.

أنتم ضعوا عنوانها (.....) :

عفواً أيها الشُعراء عفواً من شعركم

أجمع قد أصبح من الحلم صُنع المدفع

فمصنع المدفع دقتهُ خازوق القباني الذي

سرقهُ صاحبهُ وهو في الملأ للحُزن يتصنع

اعتقد البرغوثي بفكرةٍ، فأشعر العراقي

قائلاً إن زمانهُ من زمن البرغوثي أفظع

فترنم قيسٌ بأبياتهِ يزعمُ إن زمانهِ أبشع

فأتت سناءٌ لمعنوياتٍ بتفاؤلها ترفع

عفواً سناء، أبياتكِ لامست فؤادي

وكُلي أملٌ، فإني لما قلتيه أتطلع

نعم النخوة ما زالت فينا في رضيع

قبل الشُبان والخير في قلوبنا ينبع

الا إن الأرواح أنهكها الصبر داه

مهم الوقت وعجلات الوداع تُسرع

قد أكل الثرى شُجعاننا طمع فيهم

فأصبحت الأرض كأنها تخلو من الأسبع

لم يبقى سوى ثلةٍ، فئةٍ قليلة، آبيةٌ مُقا

ومة الا أن ليس لهم أحدٌ يسمع

أصبحت حضارة بغدادٍ جحراً لثعالبِ

ووجهت الوطنية عليها المدفع

والقُدس تبكي اخوتها في دمشقٍ ويمنٍ

قد أصبحوا غايةً لكل من يطمع

عفواً أيها شعراء الكرام اسمعوني

واعذروا، إني سأقول كلاماً يلذع

أيها الشُعراء إن من باع العرب

عربيٌ بالصفات الغربية يتطبع

قد افتقرت دولة الخير وسياسيهِ

المراؤون بأجوافهم ربةٌ تقبع

نزحت ذات الخذر والعجوز وتيتم

حتى من كان في مهدهِ يرضع

قد شابت في رؤوس أطفالنا الشعرُ

وقلوبنا من فرط الحنينْ دقاتها تتزعزع

تحنت أيادينا بالدماء وكُل من

حسبناهُ شريفاً اتضح إنه يخدع!

قد حكمنا أشقى اللئام لبسوا الأبيض

وقلوبهم العاهرات أسود مهجع

قد توجوا على رؤوسنا ديمقراطي

ين وواحدهم لدكتاتورية يتبع!

والآن أخبروني أيها الملأ الكرام

ألا ترون إن زماننا هو الأبشع؟

ورُغم كُل الأسى فإنني كفيروزٍ وسناء

أتمنى لأجراس العودة أن تُقرع!

فإني أبصرتُ في أمتنا أملاً رأيتهم

واقفين يبتسمون في وجه المدفع

لا يخشون الموت أروم الوفاء

والأذان في أراضيهم دوماً تُرفع

ونسائهم ذوات همةٍ قد دعموا رجالهم

والطفل رُغم الحرب يلعبُ ويرتع

الـــــفـــــهـــــرســـــت

التحذير.....1

الإهداء 2

المُقدمة بل رسالة! 3

من أوائل متطوعي التركمان (سيد جعفر الموسوي) 6

هل أنا أُم؟ (الشهيد علي ياغمور) 13

هان كل شيءٍ بعد أخي (صالح أحمد التازلي) 21

العنوان المنشود (عباس عمران الإمامي) 28

قائد في التأريخ (محمد فلاح) 33

قد طلب فنال (سيد مصطفى قنبر الموسوي) 40

نضال مهاجرٍ عسكري (أبو مصطفى البشيري) 48

ليتجسد جروحها (أحمد حموش) 53

زهرة ذبلت مبكراً (أشرف حسن الجليلي) 60

زهرة سقاها الدماء (علي محمود البشيري) 66

دع الحكم للعقل (أحمد محمد البراوجلي) 73

ذاكرة العائلة السعيدة 80

قصيدة أراها 8 7

الفهرست 90

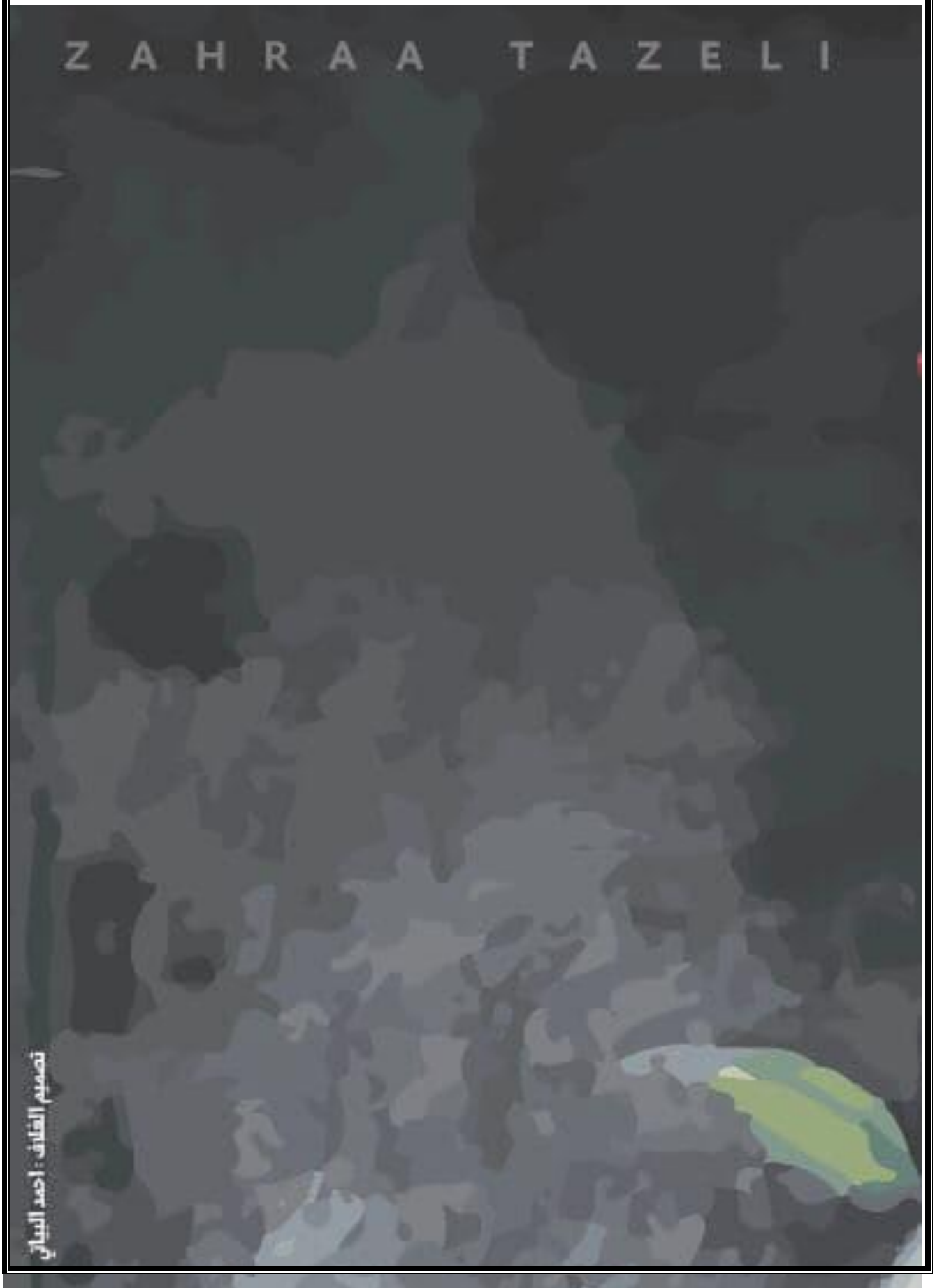
ZAHRAA TAZELI
تصميم الغلاف : احمد البياتي